الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945م قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

محاضرات في مادة
تاريخ الجزائر العثماني

مذكرة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ عام ـ السداسي الرابع ـ

إعداد الدكتور: الحواس غربي

السنة الجامعية: 2020 – 2021م

التعريـــــــف بالمادة:

الوحدة التعليمية: أساسية

اسم المادة: تاريخ الجزائر العثماني

السداسي: الرابع

الرصيد:05

المعامل: 02

الحجم الساعي الأسبوعي: 3 ساعات

طريقة التقييم: 50% امتحان + 50% أعمال موجهة

محاور المادة: وفق المقرر الوزاري

1. **الغزو الإيبري للبلدان المغاربية**
2. **التطور السياسي للجزائر في العهد العثماني**
3. **العلاقات الدولية للجزائر في التاريخ الحديث**
4. **الدولة والمجتمع في الجزائر أثناء الفترة العثمانية (نظام الحكم، الاقتصاد، الأوقاف، التعليم والزوايا، التنظيم الاجتماعي)**

مقدمة:

يعتبر تاريخ الجزائر العثماني أحد المحطات الهامة والبارزة في تاريخ الجزائر، لما عرفته هذه المرحلة من أحداث وتغيرات تاريخية وجغرافية على رقعتها الجغرافية.

ونقصد بتاريخ الجزائر العثماني تلك الفترة الممتدة من 1519م إلى غاية 1830م، وهي فترة الوجود العثماني بالجزائر، والتي عمرت أكثر من ثلاثة قرون.

وقد حاولنا من خلال هذه المحاضرات في مادة تاريخ الجزائر العثماني، بعد تحيينه ومواءمته تحت اسم تاريخ الجزائر الحديث، ووفقا للمقرر الوزاري، أن نقدم عملا أكاديميا يستفيد منه طلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ خلال السداسي الرابع.

وقد تضمنت هذه المحاضرات تلك الهجمة الاسبانية على السواحل الجزائرية واحتلال أهم موانئها ومدنها الساحلية، وقد حدث هذا بعد ان عرفنا الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة، فهذه كلها شجعت الاسبان على التفكير في احتلال دول شمال افريقيا، لنتحدث عن الظهور القوي للإخوة بربروس في البحر المتوسط والاستنجاد بهم حيث استطاعوا تحرير بعض الموانئ والمدن، ومن ثم إنضمام الجزائر للدولة العثمانية ، وتبدأ في مرحلتها التاريخية خلال الفترة الحديثة، لنتعرف عليها من خلال التطورات السياسية لأنظمتها الأربعة، وكان لا بد علينا أن نتعرف على علاقة الجزائر في تحولها التاريخي هذا من خلال علاقاتها الدولية، وركزنا على أهم الدول المجاورة والدول الأوربية، وخصنا ما بقي من مواضيع في المحور الرابع للدولة والمجتمع فتعرضنا إلى التنظيمات الادارية للدولة الجزائرية الحديثة من خلال أجهزتها وتقسيمها الاداري، ثم عالجنا الاوضاع الاقتصادية والثقافية والتركيبة الاجتماعية، ونشير هنا أننا ركزنا ضمن الاوضاع الثقافية على الاوقاف والتعليم والزوايا – يدرس الطلبة مادة تاريخ الجزائر الثقافي في الفترة العثمانية – فقد وجدنا أن هذه العناصر الثلاثة متكاملة فيما بينها.

ويبدوا من الصعب تغطية مادة تاريخ الجزائر الحديث، والتي تغطي فترة امتدت ثلاثة قرون من خلال سداسي واحد، فقد ركزنا على أهم المحطات والمعطيات الهامة التي من خلالها يتمكن الطالب من معرفة واقع ذلك الوجود العثماني. والإجابة على تساؤلات وإشكالات عديدة تطرح نذكر منها:

ـ ما طبيعة الوجود العثماني في الجزائر؟ العلاقة بين الحاكم والمجتمع الجزائري؟ مدى اهتمام واسهام السلطة الجديدة في جوانب حياة المجتمع الجزائري؟

المحاضرة 1 – أوضاع المغرب الإسلامي خلال القرن 16 م

1 ـ الأوضاع الداخلية:

لقد كان المغرب الإسلامي تحت حكم دولة الموحدين والتي بلغت ذروتها خلال العصور الوسطى بشمال افريقيا، وحققت وحدته لفترة طويلة من طرابلس الى المحيط ومن ساحل البحر المتوسط إلى مشارف إفريقيا المدارية بالإضافة إلى امتدادهم بالأندلس، إلا أنه مع هزيمة دولة الموحدين أمام الصليبين إثر موقعة العقاب عام 1212م، انعكس على بلاد شمال إفريقيا، وضعفت سلطة الموحدين عليها، وظهرت الانقسامات الداخلية والصراع حول عرش دولة الموحدين، فانقسم المغرب الإسلامي من ثلاث دويلات عملت على السيطرة على أقاليم المغرب الكبير فكانت دولة بني مرين في المغرب الأقصى، وبني حفص في المغرب الأدنى، أما إمارة بني عبد الواد (بني زيان) فكانت بالمغرب الأوسط[1].

إن ضعف دولة الموحدين وانقسامها جعلا المغرب الإسلامي يدخل منذئذ في مرحلة في غاية الخطورة تمثلت في المنازعات و التطاحنات الإقليمية العائلية على حد سواء، وبحكم موقع دولة بني عبد الواد (يتوسط الدولتين المرينية و الحفصية)، كانت من الجهتين الشرقية و الغربية مما جعل حدودها مطاطية لا تعرف الاستقرار ، غير ان هذا التفتت و الانقسام في المغرب العربي، شجع الدول الطامعة في هذه البلاد، لأن تعمل على بسط نفوذها عليها.[2]

وقد كانت من نتائج هذه الحروب المستمرة ان عمت الفوضى ولم يحن القرن 15م حتى ظهر واضحا عجز ملوك بني عبد الوادي على فرض سيطرتهم على المغرب

---

1 أحمد سالم ، **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في المغرب للبحر المتوسط في القرن 16م** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر ، 2011، ص62، 63.

2 للمزيد حول الدويلات وانقسام شمال افريقيا انظر : شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا تونس الجزائر المغرب)**، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ط1، 1977 ، ص 26 –35.

الأوسط بأكمله، واذا اردنا ان نلخص الوضع السياسي العام، فيمكن القول ان البلاد انقسمت الى مجموعة من الامارات و المشيخات والقبائل المستقلة فهناك : مشيخة مدينة الجزائر التي حكمها الثعالبة ، وإمارة كوكو التي تشمل القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى ، أما القسم الشرقي من بلاد القبائل وعاصمته قلعة بني عباس، وهكذا فإن حكم بني زيان قد اقتصر على تلمسان وضواحيها.[1]

إن الانقسام والتفكك الذي ميز المغرب الأوسط كان عاما، حيث عرفته الدولة المرينية كما عرفته الدولة الحفصية، الامر الذي جعل احد المؤرخين يكتب ما نصه: " لقد انغمست هذه الدويلات في حروب طويلة مزمنة، إذ خلال قرن كامل لم يبق لأمراء هذه العائلات المالكة من السلطة سوى اسمها، وكان شغل الملوك الشاغل إحباط المؤامرات والفتن"، وقد وصف هذا الوضع المتردي بقوله: " إن بلاد المغرب أصبحت عبارة عن فسيفساء سياسية".[2]

إضافة إلى الصراعات بين دويلات المغرب، كان هناك صراع داخلي في الاسرة الحاكمة، فقد كان قادة الزيانيين يتصارعون فيما بينهم على السلطة، ويكيدون لبعضهم البعض، ثم أنه بعض القادة المحليين أصبحوا يتحالفون مع الاسبان ضد الدولة الزيانية، وبذلك كانت الجزائر مسرحا لهذه الصراعات إضافة إلى انفصال العديد من القبائل التي رفضت الخضوع لأي سلطة، وبالتالي وضعية التفكك السياسي التي عرفها المغرب الأوسط في أواخر القرن 16م والتي وصعها بعض المؤرخين بالفسيفساء الاقطاعية. [3]

---

1 أحمد توفيق المدني ، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا (1492-1792م)** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984، ص69 ،95.

2 عائشة غطاس وآخرون ، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها** ، مشروع المركز الوطني للحركة الوطنية 2007، ص 12

3 عمار بوحوش ، **التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية إلى غاية 1962** ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1997 ،ص 46. وعبد الرحمان الجيلاني ، **تاريخ الجزائر العام** ، الجزائر ، ط7 ، 1994 ، ج3، ص 12- 14.

فقد تعرضت تلمسان لتهديدات القبائل الصحراوية، فرغم حصول هذه الأخيرة على الهدايا والأموال من الزيانيين، فنادرا ماتجد طرق آمنة في تلك الفترة، ورغم معاناة إمارة تلمسان في تلك الفترة من جيرانها وصراعات أبناء الأسرة الزيانية الحاكمة، إلا انها ساهمت بصفة فعالة في إحياء النشاط الاقتصادي والعلمي، فازدهرت المبادلات مع أوروبا خصوصا إسبانيا والبرتغال والجمهوريات الإيطالية كجنوة والبندقية، ساعدها في ذلك اشرافها على وهران والمرسى الكبير، إضافة لكونها محطة رئيسية نحو إفريقيا جنوب الصحراء، ويعترف لها حسن استقبالها ومعاملاتها للأجانب من المسيحيين واليهود. أما بقية المدن الجزائرية فهي عبارة عن مدن مستقلة تتجاذبها القوى المتصارعة آنذاك، فمدينة الجزائر بما فيها سهل متيجة فكانت تحت حكم الثعالبة، أما مدينة بجاية من أهم المدن الجزائرية، حضعت لحكم الحفصيين في تونس، كما أصبحت إمارة حقيقية مستقلة في بجاية منذ 1452م، أما المدن وفي المناطق الداخلية على السهول والهضاب العليا فتتحكم فيها قبائل حرة خارجة عن أي سلطة[1].

ويلخص لنا الدكتور عمار بوحوش في كتابه تاريخ الجزائر السياسي أوضاع بلاد المغرب الاسلامي قبيل الاحتلال الاسباني بقوله: أن الدول الثلاث التي كانت تتنافس فيما بينها على حكم دول المغرب العربي الدولة المرينية ، الدولة الزيانية، الدولة الحفصية، قد أنهكتها الحروب الداخلية واستنزفت طاقاتها المالية والمعنوية، والنزاعات الداخلية والصراعات المتواصلة بين زعماء القبائل المتقاتلين فيما بينهم على السلطة، وهذا بالاضافة إلى الكوارث الطبيعية التي كانت تحل بالمنطقة فتقضي على الأخضر واليابس، ونتيجة لهذه الصراعات بين زعماء الدول وخصومهم في الداخل ، لم تتمكن هذه الدول من التركيز على قضايا التنمية والتفرغ للدول الأجنبية المسيحية التي عرفت كيف تتوحد

1 نجيب دكاني، **الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن 10هـ 16م**. رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 9، 10.

ضد المسلمين، وتقضي عليهم في الاندلس وتحتل شواطئ دول المغرب العربي، وتعلن الحرب الصليبية على الدول الاسلامية بالمشرق العربي [1].

فالدولة المرينية 1196 – 1554م قد حكمت لمدة 358 سنة، وانتهت سلطتها على الجزائر سنة 1393م أي يوم قام سلطان الزيانيين أبو زيان بن أبي حمو الثاني بقطع الدعوة للمرينيين في تلمسان، ومنذ ان تولى الحكم السلطان أبو سعيد عثمان الثاني سنة 1398م ، بدأت الدولة تفقد قوتها ولم تعد قادرة على مواجهة البرتغاليين، أما في عهد السلطان أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان الثاني، الذي تولى الحكم في سنة 1428م، فقد اقتسم الوزراء السلطة بينهم وتسلط اليهود على الإدارة العليا، ففقد السلطان هيبته وعم الاضطراب بالبلاد، فثارت الرعية ساخطة على السلطان وقتلته وقتلت معه ولاته اليهود سنة 1465م، وانقرضت دولة بني مرين سنة 1554 يوم تغلب عليها أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي[2].

أما الدولة الزيانية بالجزائر 1236 – 1530م فقد حافظت على كيانها لمدة 294 سنة، لكن الصراعات الداخلية والحروب المتواصلة انهكت الدولة بحيث أصبح سلاطين الدولة الزيانية يستنجدون بالاسبان، ويتحالفون معهم للبقاء في الحكم[3].

بالنسبة للدولة الحفصية 1229 – 1541م فقد حكمت بعض مناطق الجزائر لمدة 312 سنة، وقد انهارت قوتها بسبب الحروب المتواصلة مع الولايات التابعة لها، وبسبب الحروب المستمرة مع الدول الأوروبية ، التي كانت تريد أن تنتقم منها، وفي عام 1513م اضطر السلطان الحسن بن محمد أن يتحالف مع الاسبان ضد الأتراك، وفي يوم 1573م

1 عمار بوحوش، المرجع السابق، ص49.

2 نفسه، ص49، 50.

3 نفسه، ص50.

سقطت تونس في يد الأتراك ، ووقع في الأسر ملكها محمد بن الحسن، وبذلك انتهت الدولة الحفصية ، بعدما حكمت 354 سنة في تونس[1].

أن هذه الأوضاع المتردية والفوضى السياسية العارمة كانت عاملا مشجعا للأطماع الصليبية ونلمس هذا بكل جلاء، فيما كتبته "فرناندواي زافرا"، الذي كان كاتبا بالبلاط ومكلفا بحراسة شواطئ إسبانيا وبمراقبة حركة الاندلسيين المتوجهين إلى بلاد المغرب في أعقاب إجراءات الطرد: " إن بلاد المغرب بأكملها تجتاز حالة انهيار نفسي يظهر معها ان الله قد أراد منحها لصاحبي الجلالة"[2]

يمكننا أن نستشف من هذا القول : ان اسبانيا لها جواسيس تتابع وتدرس أوضاع المغرب بدقة ، ومنه التشجيع على التوغل وامتلاك بلاد المغرب.

وهكذا يمكننا القول أن أوضاع المغرب الأوسط خاصة تتخلص في: صراعات، انهيار، ضعف، او قابلية للاستعمار.

2 ـ الأوضاع الخارجية :

خلال القرنين 15- 16م كان العالم الإسلامي يعيش حالة من الضعف والتدهور، عامة والمغرب الإسلامي خاصة ممثلا في دويلاته، وفي المقابل كان التنافس الدولي الأوروبي يتكالب على توسيع امبراطورياته، فكان التنافس الاسباني العثماني على السيادة بالحوض الغربي للبحر المتوسط.

هذا ما شجع ملك اسبانيا "فرديناند الكاثوليكي" على تحقيق أطماعه واحتلال عددا كبيرا من المراكز على السواحل المغربية، وهذا في إطار وصية الملكة ايزابيلا بـ :" إطاعة

1 عمار بوحوش، المرجع السابق، ص50.

2 عائشة غطاس و آخرون، المرجع السابق ، ص 12.

وصايا من المقدسة الكنيسة وان يكونا حماتها والمدافعين عنها ... وان لا يكفا عن متابعة غزو إفريقيا .."[1].

تعد سنة 1492م سنة حاسمة في تاريخ إسبانيا بوجه خاص، اذ كانت يومها تعيش في غمرة النصرين العظيمين : نصر على المسلمين بالأندلس ونصر على اكتشاف العالم الجديد، فكان من الطبيعي ان توجه اسبانيا انظارها صوب منطقة بلاد المغرب الإسلامي التي تعيش انحطاطا عميقا. لقد جاء الاحتلال الاسباني عقب سقوط غرناطة ، فهل كان ذلك نتيجة طبيعية له ؟ ؟ لاشك أن ذلك الحدث الهام سهل بل شجع عملية الاحتلال، اذ وجدت اسبانيا نفسها بعد ذلك الانتصار قوية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وجدت نفسها اكثر حرية للتحرك .[2]

وللإجابة على السؤال نقول لقد رأت اسبانيا أن نقل الحرب من بلاد المغرب امر ضروري واستراتيجي، بهدف تطويق بلاد المغرب خوفا من إعادة الكرة ، فالإسبان لم ينسوا ان فتح الاندلس سنة 711م كان من المغرب، وان الاندلس خضعت لدولة المرابطين ثم الموحدين[3]، والتي كانت في الحيز الجغرافي للمغرب الإسلامي.

ومن الأحداث البارزة التي عرفتها شبه الجزيرة الايبرية الوحدة السياسية، فقد توحدت إسبانيا المسيحية عام 1474م بعد الزواج السياسي الذي تم بين "فرديناند" ملك أراغونة وبين "إيزابيلا" وارثة عرش قشتالة عام 1469م. وهو الأمر الذي سمح للإسبان بتركيز جهودهم في محاربة المسلمين بالأندلس واخراجهم من آخر معقل وهو غرناطة في 02 جانفي 1492م[4].

---

1 عائشة جميل، **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830م**، أطروحة دكتوراه جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، 2017،2018، ص 18.

2 عائشة غطاس ، المرجع السابق، ص13.

3 نفسه ص14.

4 للمزيد حول مملكة اسبانيا أنظر، نجيب دكاني، المرجع السابق ، ص14،15.

أما الوضع الاقتصادي لإسبانيا في ذلك الوقت يعني في نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م نجد أنها كانت تعيش انهيار اقتصاديا عم جميع البلاد، وهذا بسبب فقدانها لتلك الطاقات الحيوية النشيطة من مسلمي الأندلس واليهود الذين أبعدتهم فشعرت بفراغ مسها في جميع المجالات حتى أصبحت حياتهم حياة كسل وخمول فانحطت الأخلاق، وبارت الأرض، واندثر العمران، وكسدت التجارة وأصاب إسبانيا انهيار اقتصادي، 2فكان عليها أن تحتل السواحل المغربية لتدر خيرات المغرب الإسلامي على سواد شعبها خاصة وأن هذه المنطقة تحظى بموقع استراتيجي مكنها من الارتباط تجاريا مع إفريقيا الوسطى، وأن احتلالها يعني القضاء على حركة القرصنة الإسلامية التي كانت تغزو السواحل الأيبيرية آنذاك[1].

1 أسماء ابلالي، " التحرشات الاسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ / 16م قراءة في الدوافع والأسباب"، **مجلة روافد للبحوث والدراسات**، جامعة غرداية، العدد 2، سنة 2017م، ص41.

خريطة المغرب الاسلامي في مطلع القرن 16م[1]

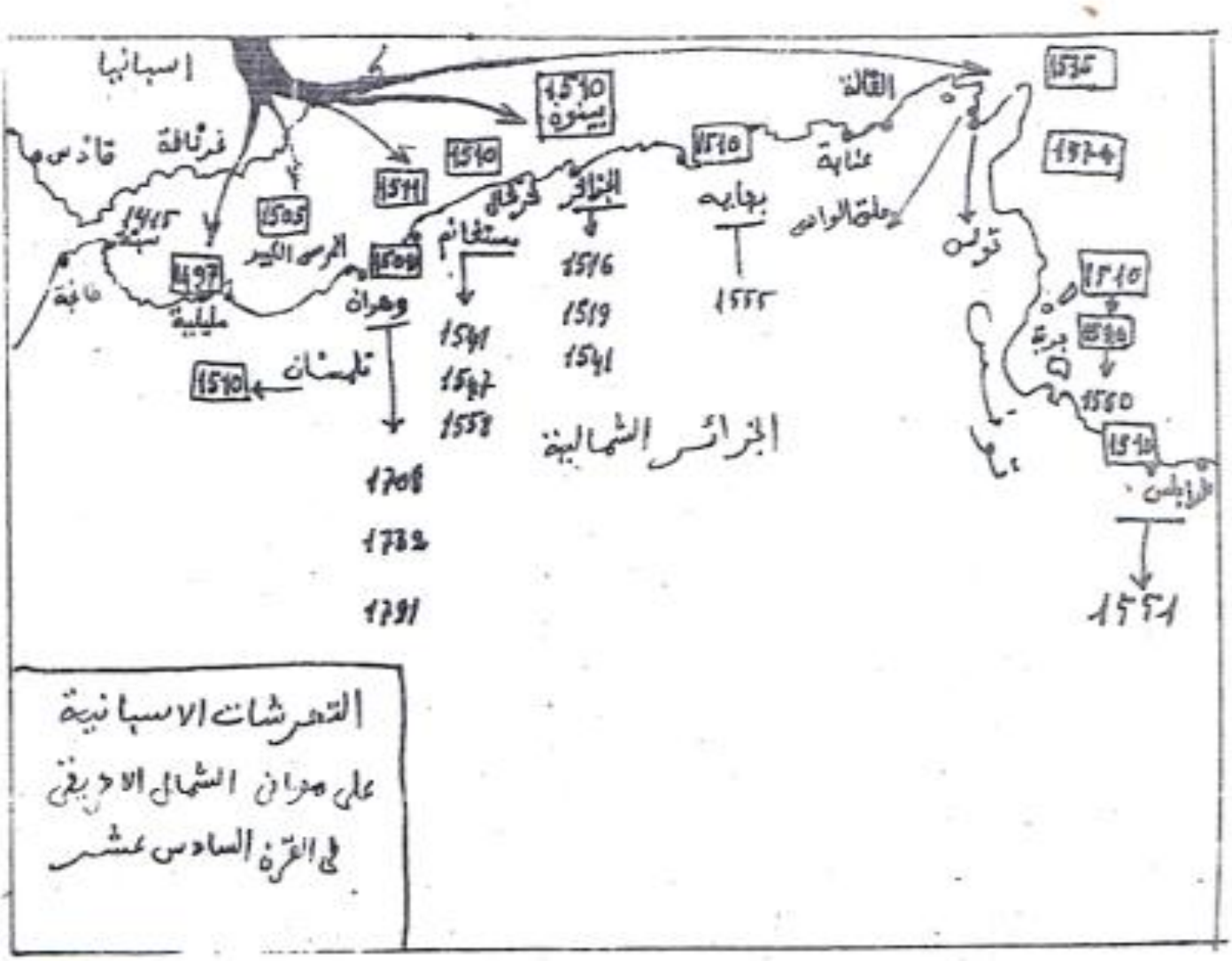

1 عائشة جميل ، المرجع السابق، ص212.

المحاضرة 2 ـ الأسباب والدوافع للغزو الاسباني للسواحل المغاربية:

1 ـ أسباب الدينية :

كانت الحملات الإسبانية ذات صبغة دينية، لأن الدولة الإسبانية ذاتها قامت على أسس دينية صرفة، ونمت وترعرت بين جدران الكنيسة، فالرهبان والقساوسة كانت لهم الكلمة الأولى في توجيه سياسة الدولة نحو المسلمين، سواء كان ذلك في الأندلس أو في الشمال الإفريقي، فهم الذين كانوا يلهبون الحماس الديني في الجموع الإسبانية، ويثيرون بواعث الكراهية والتعصب ضد المسلمين، كما أن البابا لعب دوراً كبيراً في تسخير جميع الإمكانيات المادية والبشرية لطرد المسلمين من الأندلس أولاً، ثم إخضاع الشمال الإفريقي لإسبانيا تمهيداً لتنصيره ثانياً، ولتحقيق هذين الهدفين الخطيرين أصدر البابا الكساندر السادس(1492 – 1503م) أمره بضرورة الاستمرار في دفع الضريبة الصليبية لملوك إسبانيا باعتبارهم حماة المسيحية، كما أن القساوسة والرهبان أنفقوا أموالاً باهظة لتحقيق هذه الغاية، ولم يترددوا في بيع أموال الكنيسة لتزويد الجيوش المسيحية المغيرة على سواحل الجزائر. وكان الكردينال "خمينيس" لمثابة المهندس و المشرف على ذلك. كما ان الملك الاسباني "فردناند الكاثليكي"، الذي اشرف على هذه العملية، كثيرا ما ردد في المناسبات العديدة انه يعمل: " من اجل خدمة الله وانه يحارب أعداء الدين"[1].

أما الملكة "ايزابيلا" التي أدت دورا أساسيا في تحطيم بلاد الاندلس، فقد نادت بضرورة مواصلة الحرب ضد المسلمين، حيث تركت قبل وفاتها وصيتها في ذلك الشأن :

---

1 علي محمد محمد الصلابي ، **كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى**، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، ص 123 ، 124. وعائشة غطاس، المرجع السابق ،ص14.

" عليكم بفتح افريقيا وعدم الكف عن القتال في سبيل الدين ضد الكفار". هذا ما جعل عدد من المؤرخين يضفون صبغت الصلبية على تلك الحروب، فالمؤرخ الفرنسي "بروديل" ينعتها " بالصليبية الاسبانية في أفريقيا "[1].

لقد كان تنصير المسلمين يعتبر الهدف الاسمى في هذه الحملات، فقد صرح الباحث الفرنسي بيير شونو بأن تعميد المسلمين أو الهنود الأمريكيين كان يشكل أهم المهام وأنبلها للكنيسة، بل إن إسبانيا وضعت تنصير العالم في نفس مرتبة اكتشاف الذهب، وهكذا كان أمل الإسبان في تحويل بلدان شمال إفريقيا إلى إفريقيا لاتينية على غرار ما فعلوه في أمريكا اللاتينية، يمثل أعظم أهدافهم التي يصبون إليها[2].

ليس هذا فحسب بل إن إسبانيا طلبت من البابا "ألكسندر السادس" منحها براءة يأذن لها فيها بالتوسع في أفريقيا أي بالسواحل المغربية، وقد باركت البابوية ذلك في 12 نوفمبر 1494م بمايلي :" إلى أرواح الذين سيشاركون بأموالهم وأرواحهم في عمليات الغزو"[3].

ومن المؤكد ان الاعداد لهذه الحملة الصليبية قد تطلب إعدادا طويلا و إمكانيات كبيرة الوقت والمال والرجال، فمن الممول لهذه الجملة ؟.

على الرغم ان الخزينة الإسبانية كانت عاجزة عن تجهيز الحملة، فقد تطوع الكاردينال "خيمينيس" بأمواله الخاصة، وأعانته الكنيسة، فقد باع القساوسة والرهبان ذخائر وكنوز الكنائس الثمينة، كما لا ننسى مساهمة الافراد من خلال الضريبة الصليبية، إذ أصدر البابا أمره السامي بمواصلة دفع الضريبة[4].

---

1 عائشة غطاس، المرجع السابق، ص14.

2 محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 125.

3 أحمد توفيق المدني ،المرجع السابق ،ص80.

4 عائشة غطاس ، المرجع السابق ،ص 15.

2 ـ أسباب عسكرية "القرصنة":

ومن الذرائع التي ذكرها المؤرخون الغربيون ذريعة محاربة نشاط البحارة المسلمين وخاصة بعد التحاق عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين، الذين كانت لديهم دراية ومعرفة جيدة بالشواطئ الاسبانية، وهكذا بقيت القرصنة دافعا رئيسيا للسياسة الاسبانية ضد الجزائر. القرصنة تمثل دافعا رئيسا للسياسة الاسبانية ضد الجزائر ، فالقرصان هو الشخص الحرفي النهب ، ولا يعترف بأي سلطة فوق إرادته الخاصة ، فكان يهاجم بدون تمييز شفن أي دولة، وكان هدفه الوحيد هو النهب ، أما رياس البحر كانوا أشخاصا موكلين من غيرهم للقيام بهذه المهمة ولم يشنوا حربا إلا على أعداء أميرهم أو إلههم، ومهمته تعطى طابع الشرعية لنشاطه، أما غنائمه فينظمها الأمير التابع له[1].

ويعرف القرصنة مولاي بلحميسي بقوله: ان القرصان Le Pirate يسعى في البحار لحسابه الخاص، دون أن يحصل على ترخيص من حكومته، إنه ليس سوى لص مسلح. أما البحار القرصان Le Corsaine فهو مقاتل نظامي ، قناص في البحر، يهاجم سفن أعداء أمته، ليحصل منها على نصيب معلوم، وعلى سفينته علم بلده، إذن القرصنة هي نوع من البحرية الحربية ، تستعمل فقط في حالة الحرب[2] .

ويذكر عبد الحميد ابن أشنهو : " أن النصارى هم البادئون بالحروب البحرية، فكانوا يسبون المسلمين ..... تلك الحروب التي أطلق عليها في القرن 15م اسم قرصنة، ما هي إلا ابتكار من طرف المسيحيين، التي بلغت أشدها في عهد الأتراك"[3].

---

1 للمزيد حول القرصنة أنظر : نجيب دكاني ، المرجع السابق، ص 20-22.

2 Moulay belhamissi, **Histoire la marine Algerienne 1516 – 1830**, Alger, 1er Ed, 1983, p 144,145.

3 وعبد الحميد بن أشنهو، **دخول الاتراك العثمانيون إلى الجزائر**، ص17.

وقد ترجع البداية الأولى للقرصنة إلى الهجرة الجماعية لمسلمي الأندلس نحو أقطار المغرب وعلى رأسها الجزائر، منذ سقوط اشبيلية سنة 1371م، وسقوط غرناطة 1492م، وزادت عداوتهم لاسبانيا قرار تمسيحهم بالقوة سنة 1502م على يد الكاردينال وحاكم قشتالة، واستقر هؤلاء المهاجرون في مدن المغرب[1].

وبفضل هؤلاء المهاجرين أصبحت الجزائر عاصمة القرصنة منذ القرن 14م، وفي وقت انفتح البحر أمامهم مع منتصف القرن 15م، وازدهار المدن والتجارة، إضافة إلى ذهب أمريكا عبر الأطلسي، – ومع مجيء الإخوة بربروس انتظمت أمور القرصنة أكثر، ونشطت البحرية الجزائرية – ، ولوضع حد لنشاط البحرية الجزائرية، وما سببته للاسبان من خسائر مادية وبشرية بالاغارة على سواحلها، كان التوجه لخنقها من خلال احتلال أهم المدن وموانئها[2].

3 ـ الأسباب الاقتصادية :

وإذا كانت الأسباب متعددة ومتنوعة ومتداخلة بين الديني و الدنيوي، فإن طموح اسبانيا في تكوين إمبراطورية بعد نشوة الانتصار (توحيدها ، انتصاراتهم في الأندلس وتزعمهم لحركة الكشوفات الجغرافية لا يمكن إهماله)، ففكر ملوك إسبانيا في التوسع في البحر الأبيض المتوسط . إما الجانب الاقتصادي فإن إسبانيا بعد الاكتشافات أصبحت بحاجة شديدة إلى أسواق جديدة تتقبل تجارتها[3].

فإن احتلال ساحل الشمال الافريقي سيمكن إسبانيا من خلق طريق بحري يرتكز على ذلك الساحل، ويمتد من مدينة سيغيل الاسبانية إلى صقلية الغنية بالقمح مصدر

1 نجيب دكاني، المرجع السابق، ص21.

2 نجيب دكاني، المرجع السابق، ص 22.

3 عائشة جميل، المرجع السابق ، ص 6،5.

غذائها الرئيسي ، كما يعتبر بوابة رئيسية نحو الامارات الافريقية جنوب الصحراء، حيث تعبر منها كميات ضخمة من السلع[1].

وعليه فإن السيطرة على الموانىء الجزائرية سيمكِّنها من إزاحة الوسطاء الجزائريين، والتحكم في التجارة الإفريقية القادمة من الصحراء متجهة إلى أوربا عبر هذه الموانىء.

إضافة إلى سيطرة إسبانيا على مناطق الذهب في العالم الجديد،(القارة الأمريكية المكتشفة)، فإنها شرعت تبحث لنفسها عن أسواق جديدة لترويج منتجاتها، وموارد مالية لتمويل حروبها في أوربا، وتحقيق طموحاتها التوسعية في شمال إفريقيا، كما أن اكتشاف القارة الأمريكية جعل إسبانيا في حاجة إلى موانىء ساحلية متعددة، لحماية أساطيلها المثقلة بالبضائع من غارات البحارة، الذين جعلوا موانئ شمال إفريقيا قواعد انطلاق لهم، ولذلك كان احتلال هذه السواحل يعتبر ضرورة اقتصادية لتأمين تجارتها في البحر المتوسط [2].

4 ـ الأسباب السياسية:

منذ أن تحقق الزواج السياسي بين مملكتي قشتالة وأراغون سنة 1469م، وتوحيدهما تحت راية واحدة سنة 1474م، كانت الرغبة في التوسع وبسط النفوذ خارج الحدود التقليدية لدى إسبانيا، لبناء إمبراطورية مترامية الأطراف، حلماً يراود الملك فرديناند وملكة إسبانيا. فتمكنا خلال فترة قصيرة من القضاء على الوجود الإسلامي في الأندلس، خصوصا مع صعود شارل كونيت ، الذي كان يعتبر نفسه سيد للعالم[3].

وقبل أن تمتد أطماعهما إلى احتلال الجزائر، يؤيد ذلك الخطوات التي قامت بها الملكة إيزابيلا لاحتلال تلمسان، ثم وصيتها لمن يتولى الحكم بعدها أن لا يتوقف عن تجهيز الجيوش لمحاربة الكفار. وكانت إسبانيا في هذه الفترة تملك الساحل الجنوبي من

---

1 نجيب دكاني، المرجع السابق ،ص20.

2 محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص128.

3 نجيب دكاني، المرجع السابق، ص19.

إيطاليا، والجزر القريبة منه مثل: صقلية وبيزا وسردينيا وكوريسكا، بالإضافة إلى الجزر الخاضعة لها في غرب البحر المتوسط كجزر الباليار ومايورقه ومينورقة وغيرها. ولذلك فإنه من الطبيعي أن احتلال سواحل الجزائر وغيرها من سواحل شمال إفريقيا سوف يشكل لها وحدة جغرافية لممتلكاتها، وييسر لها سبل الاتصال المباشر بين جنوب غرب البحر المتوسط وشماله، ولاشك أن سيادة الإسبان على غرب المتوسط لا يمكن أن تتحقق ما لم يتم احتلال سواحل الجزائر، كما أن احتلال السواحل الإسلامية في شمال إفريقيا من شأنه أن يساهم في ترسيخ زعامة إسبانيا السياسية للعالم المسيحي الكاثوليكي، تلك الزعامة التي ما فتئت إسبانيا تفتقر إليها منذ أن بدأت الوحدة الدينية والمذهبية لأوربا المسيحية، تتعرض للاهتزاز، وانعدام الثقة بسبب ظهور حركة الإصلاح الديني[1].

وقد كانت المصاعب الاجتماعية والأمنية والاقتصادية ؛ التي كانت تعيشها إسبانيا منذ ما كان يسمى بحروب الاسترداد، التي توّجت باحتلال غرناطة، هذه المصاعب التي كانت نتيجة طبيعية للتغيرات السياسية والاجتماعية والدينية، فالمصاعب الاقتصادية الناتجة عن هجرة الصناع والحرفيين والتجار والمزارعين المسلمين واليهود أصاب الاقتصاد الإسباني بالركود، وكذلك سيطرة الدولة على الموارد المالية لتغطية نفقات حروبها في أوربا وشمال إفريقيا، وأجواء الحرب الأهلية ضد بقايا المسلمين في إسبانيا، وثورات البروتستانت في ألمانيا وسويسرا، وغير ذلك من الأحداث السياسية ؛ التي كانت تعج بها أوربا عامة، وإسبانيا على وجه الخصوص، جعلت الناس يشعرون بالتذمر وعدم الاستقرار. مما حدا بالدولة إلى البحث عن سبل لإلهاء الشعب، وتأجيج نار التعصب الديني والمذهبي، وهكذا كان احتلال سواحل الجزائر إحدى الحلول المهمة، التي تعلق عليها إسبانيا مشاكلها وعجزها الداخلي.

1 محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص129.

ولعل ما زاد في تشجيع إسبانيا للخوض في هذه الحرب حالة الانحطاط العميق الذي كانت تعيشه بلاد المغرب الإسلامي، مثلما اسلفنا الإشارة إليه، وبالإضافة إلى ذلك عدم معرفة المغاربة لاستعمال الأسلحة الحديثة ، فإن هذين العاملين جعلا إسبانيا لا تخشى كثيرا رد الفعل المغربي[1].

1 عائشة غطاس، المرجع، السابق ، ص15.

المحاضرة 3 ـ الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية (المغرب الأوسط):

أن التنافس البرتغالي الاسباني على السواحل الاطلسية للمغرب ، دفعت بهم للاتفاق على اقتسام مناطق النفوذ في معاهدة تور ديسلاس 1494م[1]، التي حددت حجر باديس المحتل من الاسبان كحد فاصل بين المملكتين، فكان للبرتغال حرية التصرف في المغرب، وللاسبان مملكة تلمسان والسواحل الجزائرية، ما عدا ذلك فهناك تعاون مشترك بينهما لخنق وإخضاع المغرب العربي، بإقامة التحصينات في المدن المحتلة، مما أدى إلى خنق تجارة المغرب الخارجية، كل هذا دفع بمدينة سافي إلى إعلان خضوعها لهم سنة 1480م، ورغم قلة التعداد البرتغالي فقد تمكنوا من إقامة محمية في دوكالة ، ليتم إحتلال كل من أزمور 1513م، مازغان 1514م، وتهديد مراكش والمعمورة 1515م[2]

أما الإسبان فكانت أول نقطة احتلها على الساحل المغاربي مدينة مليلة عام 1497م، وعقب ذلك وجهوا انظارهم صوب الشواطئ الجزائرية، بعدما ابرمت معاهدة Tordesillsas في 7 جوان 1494م، التي بمقتضاها تم تقسيم مناطق النفوذ بين البرتغال وإسبانيا، واعترفت هذه المعاهدة بأحقية إسبانيا في احتلال الجزء الشرقي من ساحل المغرب الشمالي " فكل ما هو شرق حجر باديس لإسبانيا".[3]

---

1 **معاهدة توردي سيلاس 1494م:** نتيجة الصرا ع بين البرتغال وإسبانيا للوصول الى الهند عن طريق الاتجاه نحو الغرب إذ كانت كل دولة تسعى لتأمين الأراضي التي اكتشفتها واحتلتها كل منهما ، فتوسط البابا اسكندر السادس فعقدت المعاهدة ، التي تضمنت أن تستولي البرتغال على كل المكتشف شرقي خط وهمي يرسم بطول المحيط الأطلسي 46و ً 37ºغربا ، في حين يكون لاسبانيا كل ما يقع غربي هذا الخط ، للمزيد العلاقات البرتغالية الجزائرية الاطلاع على:

عبد القادر فكاير، "العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية"، **دورية كان التاريخية**، السنة 5، عدد 18، ديسمبر 2016م، ص 25.

2 نجيب دكاني، المرجع السابق، ص12.

3 عائشة غطاس، المرجع السابق ، ص15.

وقد شجع تفكك المغرب الإسلامي، إسبانيا على القيام بغزو الموانئ والمدن الساحلية للمغرب الأوسط، والسيطرة عليها واحدة بعد الأخرى، وفق مشروع استعماري واسع، فمهدت اسبانيا لذلك بحركة جوسسة واسعة، حيث كلف الكاردينال "خيمينيس" شخصا يدعى "لو اندودي باديان" و "جيرونيموفينالي" مهمة التجسس على مملكة تلمسان، وبقي ما يقرب من عام لجمع المعلومات، ثم تفرغت اسبانيا في إعداد خطة الغزو[1].

على الشكل الآتي :

1 ـ احتلال المرسى الكبير:

اختارته اسبانيا لأنه قريب من السواحل الاسبانية، ويشرف على مدينة وهران، ولكونه يحتوي على احسن المراسي في البحر المتوسط ، ونظرا لأهميته سماه الرومان "المرسى الرباني". وذكر الحسن الوزان انه يمكن ان ترسوا عليه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية في مأمن من كل عاصفة وإعصار، فغادر الاسطول الاسباني مدينة مالقة يوم 29 أوت 1505م، كان يقوده "دون رايموند دي" قرطبة ، بجيش قوامه 5000 رجل ، فوصل الاسطول يوم 11 سبتمبر بعد ان اعترضته رياح كانت لصالح الاسبان، فتأخر وصول الاسطول بحيث ظن المرابطون ان العدو عدل عن الهجوم فتفرقوا، فلم تكن الحامية الصغيرة المتبقية تستطيع صد الجند عن النزول إلى البر، رغم المقاومة العنيفة القاسية التي قام بها رجال تلك الحامية، فاستمرت هذه المعركة غير المتكافئة ثلاثة أيام متواصلة، فاحتل الاسبان القلعة والمرسى الكبير بعد حصار دام 50 يوما، ودخلوه يوم 23 أكتوبر 1505م، واتخذوا منه ميناء لإرساء سفنهم[2].

---

1 نجيب دكاني، المرجع السابق، ص24..

1 عائشة جميل، المرجع السابق ص7،8 . وانظر أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة ، المرجع السابق ، ص 95،98.

وبعدها أمضوا مع أهل المرسى اتفاقية تضمن لهم الحياة وحرية الانسحاب من المدينة، وبانسحابهم دخل الاسبان الى المدينة، ورفعوا أعلامهم، وأقاموا صلاة الشكر، وحولوا مسجدها الى كنيسة سميت بكنيسة "القديس ميكائيل"، والواقع ان سكان المرسى قبلوا بالاستسلام، نتيجة قلة امكاناتهم العسكرية أمام قوة الاسبان المتطورة، إذ يؤكد المؤرخون بانهم قاتلوا بكل ما أوتوا من قوة قبل استسلامهم، كما أن أهالي الداخل أسرعوا لنجدتهم[1]

وقد كان احتلال المرسى الكبير بوابة لاحتلال موانئ أخرى، أو نقطة انطلاق وتمركز للتوسع على الساحل .

2 ـ احتلال مدينة وهران:

بسبب الحصار المضروب على المرسى الكبير قرر القائد الاسباني القيام بهجمات على المناطق المجاورة، والهدف منها توفير الحبوب والحيوانات، واستغلال الأراضي الزراعية القريبة مع تعويد جنوده على أساليب القتال، وهكذا بعد مرور عامين على احتلال المرسى الكبير، ، حاولت إسبانيا التوغل في الداخل فوجهت حملة عسكرية إلى منطقة مسرغين تبعد عن وهران بـ: 12 كلم في 06 جوان 1507م، لكنها منيت بهزيمة نكراء، فسارعت على اثرها الى تعزيز قواتها المرابطة بالمرسى الكبير، ولولا هذه النجدات القادمة من إسبانيا والمدفعية، لتم تحرير المرسى الكبير، ويجدر الإشارة هنا الى ان الانتصار الساحق، الذي حققه الجزائريون في هذه المعركة قطع على الاسبان أمل التوغل في الداخل[2].

1 أسماء ابلالي، "المرجع السابق، ص43.

2 عائشة غطاس، المرجع السابق ، ص16. ونجيب دكاني، المرجع السابق، ص25.

لقد أغرى موقع مدينة وهران وجمالها القادة الاسبان وخاصة الكاردينال خيمينيس، فبناء على التقرير التجسسي الذي تلقاه من " فيانيلي" الذي اعتبرها من أشهر مدن البلاد المغرب لغناها بالأسواق والتجارة[1] .

وبعد أن أصبح للإسبان قاعدة يرتكزون عليها، جاء دور مدينة وهران، لقد انطلق الاسطول في 16 من ماي 1509م من ميناء قرطاجة، وكان قوام الحملة 15 الف جندي بقيادة "بيدرو نافارو"، إن أكبر معركة اقترفها الاسبان كانت بمدينة وهران، وبعد أن ساعدتهم في ذلك خيانة اليهودي "اشطورا" الذي كان قاض المكوس، حيث فتح أبواب المدينة للإسبان، الذين خربوا ودمروا وفتكوا، إذ قتلوا نحو 4000 واسروا نحو 8000، كما حولوا مسجدين الى كنيستين، وتم ارسال 600 عائلة من اسبانيا للاستقرار في وهران ، مقابل تجنيد كل الذكور في الخدمة العسكرية، اضافة الى ذلك قرر الكاردينال ترك حامية عسكرية في وهران من 2000جندي من المشاة، و300 من الرماة، ومن يقبل منهم البقاء خارج أسوار المدينة يعفى من الضرائب، فقد كان المشروع الاسباني يهدف لإقامة أنظمة عسكرية على شاكلة فرسان القديس "جان" في بيت المقدس، وذلك داخل كل مدينة أو موقع يتم احتلاله. كما تم مكافئة اليهوديان الجسوسان بأن أوكلا لهما استخلاص الضرائب والغرامات من السكان، من جهة اعترف أبو حمو الثالث الزياني بتبعيته للاسبان وقبوله دفع الجزية السنوية مقدارها 12 الف دوقية، ولا بد ان نذكر المقاومة الباسلة التي دافعت عن وهران بشهادة واعتراف المؤرخين الاسبان أنفسهم عن صعوبة ومشقة المهمة يقول مارمول: " أعتقد ان غزو وهران كان مشقة كبرى وصعبة مما كنت أظن"[2].

1 أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة ، المرجع السابق، ص 97.

2 نجيب دكاني، المرجع السابق، ص27.

وباحتلال الاسبان لمدينة وهران تمكنوا من احتلال موقعا استراتيجيا في بلاد المغرب الأوسط، ونتيجة هذا الانتصار اعترف السلطان الزياني بنوع من التبعية لإسبانيا، كما اصبح عدد من القبائل القاطنة بوهران وضواحيها خاضعا للإسبان بل وفي خدمتهم، وكانوا اعوانا أساسيين لهم ومن اشهرها قبيلة بني عامر[1].

3 ـ احتلال مدينة بجاية:

بعد احتلال وهران وصلت الأوامر لقائد الأسطول" بيدرو نفارو" بالتوجه إلى بجاية لإخضاعها ومع حصوله على لقب حاكم المغازي الاسبانية في افريقيا، فخرج على رأس اسطول متكون من 14 سفينة على متنها 8000 جندي، كما ارسلت له مساعدات اضافية، فبجاية تمثل احدى أهم المدن الجزائرية بنشاطها العلمي والتجاري والعمراني والبحري ، نظرا لاشرافها على ميناء هام جدا سهم كل ذلك وصول اعداد كبيرة من الاندلسيين الفارين من الاضطهاد الديني المسيحي. فجأة أطل الاسطول على ميناء المدينة وتم انزال الجنود ليلا، ليبدأ الهجوم مع طلوع الفجر ، وقد تمكن الاسبان بفضل مدفعية السفن المصوبة نحو تحصينات المدينة من فتح فجوة في السور المحيط بها، فمكنهم من التسلل عبره والسيطرة على المدينة، رغم المقاومة الشديدة لسكان المدينة والمدافعين عنها وعلى راسهم حاكم قسنطينة الحفصي عبد العزيز، وحسمت المعركة لصالح الاسبان وأبيحت المدينة للجنود فخربوها وقتلوا أكثر من 45000 من سكانها[2]

كانت بجاية تخضع لأمير حفصي تابع لإمارة قسنطينة الحفصية يدعى عبد الرحمان، وينافسه في الحكم أخوه عبد الله، فشن عليها الاسبان حملة كبيرة يوم 05 جانفي 1510م واحتلوها، بعد ان فتكوا بأهلها وخربوا للكثير من أثارها ومعالمها التاريخية الإسلامية، حيث تذكر بعض الروايات ومن بينها الحسن الوزان ان الاسبان احتلوا المدينة

1 عائشة غطاس، المرجع السابق ، ص16.

2 نجيب دكاني، المرجع السابق، ص 28.

يوم 05 جانفي دون مقاومة تذكر من سكانها، بعدما فروا جميعا إلى الجبال وعلى رأسهم الملك[1].

4 ـ احتلال مدينة الجزائر:

أما مدينة الجزائر فقد توجه حاكمها "سالم التومي" في 31 ماي 1510م الى بجاية ووافق على تسليم الاسبان احد الجزر و أكبرها، والتي بنوا عليها ما أشتهر بـ "بنيون الجزائر" والمعروفة بجزيرة "سطوفلة" وهي يبعد 300متر عن المدينة ، وقد بني على انقاض منارة بناها الاندلسيون نهاية القرن 15م لارشاد السفن، ومهمة الحصن جعل المدينة تحت رحمة الاسبان واجبار سكانها على تنفيذ بنود المعاهدة، ومنع اي مشاط بحري للأسطول الجزائري ، مما اجبر السفن على التوجه الى سيدي فرج، كما أقام الاسبان داخل القلعة فرقة عسكرية من 200 جندي مدعمة بالمدفعية ، وفعلا تحول ذلك الحصن إلى شوكة مغروسة في قلب المدينة وسكانها. كما التزم سالم تومي بدفع ضريبة الولاء. وقد ذهبت بعض الروايات إلى أن "بيدرو نافارو" اشترط على "سالم التومي" التوجه إلى اسبانيا لإعلان فروض الولاء والطاعة والالتزام بتنفيذ شروط المعاهدة أمام الملك، وأضحت مدينة الجزائر منذئذ تحت التهديد المستمر من طرف الاسبان[2].

وقد كان لسليم تومي معرضين لمشروعه في اعلان الطاعة والولاء والخضوع للاسبان، وزادت تصرفات هؤلاء تذمر السكان، وعاشت الجزائر بسببها اضطرابات منذ 1510م، لاختلاف الآراء حول مبلغ الجزية التي تدفع للاسبان، ووجود حامية قرب المدينة شلت كل حركة تجارية خارجية وخنقت المدينة، وشجع سليم التومي على عدم احترام المعاهدة لانها توفر الأمن والحماية للمدينة، لكن أغلبية السكان كانت آراؤهم مختلفة[3].

---

1 عائشة جميل ، المرجع السابق، ص09.

1 عائشة غطاس، المرجع السابق، ص17. نجيب دكاني، المرجع السابق، ص30

3 نجيب دكاني، المرجع السابق، ص30

5 ـ فماهو وضع بقية الموانئ ؟

أما مديمة عنابة فقد احتلها "بيدرو نفارو " عنوة اثناء طريقه الى تونس، وترك بها حامية عسكرية، ثم واصل طريقه نحو تونس ومنها الى طرابلس، التي احتلها رغم شدة المقاومة في جويلية 1510م، ثم أعلنت مدينتا دلس ومستغانم ولاءها والتزمتا بدفع الضريبة الى اسبانيا عام 1511م[1].

وهكذا استطاعت إسبانيا وفي ظرف قصير للغاية 1505-1511م ان تطوق الساحل الجزائري عن طريق احتلالها لنقاط استراتيجية .

ولا بد أن نتساءل هنا: لماذا ظل الاحتلال الاسباني مقتصرا على السواحل؟ أو هل كان لإسبانيا مشروع احتلال شامل؟

ويبدوا ان ذلك راجع لعدة أسباب أهمها :

ـ انشغال الاسبان في نفس الوقت بحر عليهم في المناطق الأخرى في أوروبا كإيطاليا وغزو العالم الجديد .

ـ إضافة إلى التدخل العثماني وظهور الإخوة عروج وخير الدين على الساحة.

1 عائشة غطاس، المرجع السابق ، ص17.

المحاضرة 4 ـ التحاق الجزائر بالدولة العثمانية:

1 ـ الاستنجاد بالإخوة بربروس:

أ ـ استنجاد اهل بجاية:

ذاعت في هذه الاثناء أصداء الاخوة بربروس في الحوض الغربي المتوسط في اطار مساعدة البحارة العثمانيين لمسلمين الاندلس عقب سقوط غرناطة. وأمام هذا الوضع المزري، لم يجد سكان بجاية وسيلة الا الاستنجاد بالإخوة الاتراك المسلمين "عروج ، خير الدين، إسحاق، محمد الياس، نظرا للروابط الدينية المشتركة. ولهذا استنجد بهم الحاكم الحفصي لبجاية لطرد الجيش الاسباني المحتل، وفعلا التحق عروج وخير الدين ببجاية عام 1512م، وكان بحوزتهم 12 باخرة مزودة بالمدفعية وحوالي الف جندي تركي ودبروا خطة لطردهم. لكن عروج لم ينجح بعد حصار بحري وبري دام أسبوعا، شاركت فيه القوات الجزائرية والتركية. وفقد عروج ذراعه الأيسر اثر المعركة التي دارت بينهم[1].

بعد التجربة الاستطلاعية التي قام بها عروج في بجاية تيقن انه من المستحيل تحريرها في قاعدته البعيدة " تونس" ، لذلك قرر البحث عن مركز جديد يكون قريبا من بجاية فوجد في جيجل ، يبعد 120كلم غرب بجاية ، المكان الملائم للتمركز والاستعداد نظرا لموقعها الاستراتيجي، الذي يقربه من ساحة المعركة، فتمكن من فتحها 1514م واتخذها قاعدة لهم بعد ان طرد منها الحامية الجنوية الايطالية، فكانت اول بلدة تم انقاذها على ساحل بلاد المغرب الأوسط، وكذا الاستقرار بمركز منيع برا وبحرا ، سمح له ولرجاله من أجل تطهير البلاد من الاحتلال الاجنبي الاسباني[2].

وعندما شعر "عروج واخوه خير الدين" انه من الصعب عليهما افتكاك مدينة بجاية من الاسبان، بعث بهدية الى السلطان سليم بإسطنبول وطلبا منه الدعم العسكري للقضاء

---

1 عمار عمورة، **موجز في تاريخ الجزائر** ، دار ريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2002، ط1، ص 88-89.

2 عائشة جميل ، المرجع السابق، ص32.

على الاسبان، وبالفعل فقد استجاب لهما وزودهما بـ14 سفينة وكميات كبيرة من البارود والعتاد الحربي[1].

لكن عروج لم يفشل ولم يستلم، فكرر مهاجمة الاسبان سنة 1514م/1515م بريا و بحريا مستعينا بالسكان البجاويين وجنوده الاتراك وحاصرها مدة من الزمن، لكن لم يستطع فتحها[2].

جاءت المحاولة الثالثة لتحرير بجاية في خريف 1515م حيث توجه عروج بأسطوله المشكل من 12سفينة ، وقد اخترق وادي الصومام الذي يصب في البحر ، وتوغل فيه ثم قام بانزال جنوده في البر، والتحق به عدد كبير من سكان القبائل بقيادة عبد العزيز حاكم بني عباس واحمد بن القاضي الذي أسس إمارة كوكو في جرجرة سنة 1511م. ووقع الهجوم على القلعة التي يحتمي بها الاسبان عدة مرات، وبعد ثلاثة أشهر من الحصار ، وأمام الخسائ الكبيرة في صفوف جنده، اضافة الى وصول نجدة اسبانية من خمسة سفن بقيادة "مارتين دي رانتاريا"، قرر عروج الانسحاب بعد أن نفذ البارود والرجوع الى جيجل برا، بعد ان قام بإحراق سفنه لاستحالة اعادتها للبحر عبر مصب وادي الصومام، لانخفاض منسوب هذا الأخير، والحصار المضروب بحرا على ميناء بجاية[3]

ب ـ استنجاد أهالي مدينة الجزائر:

في سنة 1516م أوجد موت "فرديناند" ملك اسبانيا، موقفا جديدا في المغرب الأوسط حيث خلفه ملك شاب نمساوي فلامندي يحيط به الفلامنديون، وليس له شعبية في اسبانيا، وكان المسلمون في اسبانيا على اطلاع على موقف الملك الجديد، فاعلموا إخوانهم في شمال افريقيا عن الازمة المالية، واضطراب وضع المراكز الاسبانية، وبدأ

4 عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 47،48.

2 عمار عمورة، المرجع السابق ، ص 89.

3 نجيب دكاني، المرجع السابق، ص 51.

سكان الموانئ الخاضعة للنفوذ الاسبان يفكرون بأن الفرصة قد حانت للتحرر من النفوذ الاسباني[1].

فسارع اهل مدينة الجزائر بواسطة رئيسهم "سالم التومي" الى الاستنجاد بـ: عروج ليحررهم من هذه القلعة، اسرع عروج الى الجزائر واحتل في طريقه شرشال، واستقبل اهل الجزائر عروج استقبال المحررين، ولكن عروج فشل في احتلال القلعة الاسبانية المنيعة، فزال في نظر اهل المدينة مبرر وجوده بينهم بعد ان ثقلت عليهم وطأة جنوده، الذين بدأوا يتصرفون وكأنهم في بلد محتل، وبدأت المؤامرات تحاك لطرده، واشترك فيها "سالم التومي" واهل المدينة والاسبان، ولكن عروج كشف المؤامرة، وسبق المتآمرين فقتل زعيمهم "سالم التومي" ، ونادا جند عروج به سلطان، نجح عروج في الاحتفاظ بالجزائر بالرغم من مؤامرات أولاد سالم التومي الذين لجأوا للإسبان. واضطر عروج لتوطيد مركزه الى استعمال اقصى وسائل الشدة ضد خصومه، ونجح في احباط حملة اسبانية قادها "ديغودوفيرا" عام 1516م، انتهت بكارثة، فقد فتك عروج بأفرادها، وحطمت العاصفة معظم السفن[2].

وبعد ان وطد عروج مركزه في مدينة الجزائر، شرع في التوسع على حساب الامارات المجاورة، فاستولى على مليانة و المدية وتنس، وشرع في تنظيم هذه المناطق، فأوكل الى أخيه خير الدين أراضي المشرق ومقره دلس، وترك لنفسه مدينة الجزائر ومناطق الغرب[3].

---

1 محمد خير الدين فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي** ، جامعة دمشق، ط1، 1969م، ص25.

2 نفسه، ص25،26. وانظر أيضا: كورين شوفالييه، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541م**، ترجمة جمال الدين حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، ص30.

3 محمد خير الدين فارس، المرجع السابق ، ص 26 ، عمار بوحوش ، المرجع السابق، ص48.

ج ـ توجه عروج الى تلمسان:

توجه عروج سنة 1517م برا الى تلمسان ملبيا نداء سكانها، ولما سمع "أبو حمو" بمجيئه فر منها طالبا النجدة من الحامية الاسبانية بوهران ، فاحتل عروج في طريقه قلعة بني راشد، وترك لها فرقة عسكرية بقيادة أخيه إسحاق، ثم واصل سيره نحو تلمسان، فدخلها بدون مقاومة ونصب ابن اخ" حمو" اميرا على تلمسان، وبعد فترة قصيرة قتل اميرها "أبا زيان"، ونصب نفسه سلطانا على تلمسان، لكن القوات الاسبانية رفقة "ابي حمو الثالث" لم تعط له الفرصة، فسيرت له في شهر جانفي 1518م جيشا قوامه عشرة آلاف جندي بقيادة "دون مارتن دي أرقوت"، فاستولت على قلعة بني راشد، وقتلوا الحامية التركية بما فيها إسحاق الأخ الأصغر لـ:عروج، وفي شهر ماي توجت إلى تلمسان وبعد حصار دام ستة أشهر سقطت تلمسان في يد الاسبان، فلم يتمكن منهم عروج لقلة العدد و العدة وفر رفقة جنوده الاتراك، فلحق به الاسبان خارج تلمسان بالواد المالح بنوحي عين تيموشنت، فدارت بينهم معركة استشهد خلالها عروج وجنوده في صائفة 1518م على سن يناهز 45 سنة[1].

2 ـ طلب الانضمام للدولة العثمانية :

استلم "خير الدين" القيادة بتاريخ 1518م وهو متأثر بسبب هزيمة اخيه عروج ومقتله مع افضل المجاهدين ممن كان يعتمد عليهم، وفي نفس الوقت لم تعلن البلاد خضوعها له كما فعلو مع "عروج"، كما اعلنت القبائل المؤيدة لـ:عروج عصيانها وتمردها على الزعيم الجديد. واستغل الاسبان كل هذه الصعاب التي تواجه "خير الدين"، واهتزاز مكانته في الجزائر وباشروا لطرد جميع المجاهدين من البلاد، فوجد خير الدين نفسه إزاء كل هذه النكبات في وضع لا يحسد عليه إطلاقا[2].

---

2 عمار عمورة، المرجع السابق ، ص 89،90.

2 أحمد سالم، المرجع السابق ، ص93.

وقد ادرك "خير الدين" في الحال ضعف موقفه السياسي في البلاد، وهو محاط بعدد كبير من الاعداء، الذين يتربصون به ويخططون لطرده من البلاد، هذا فضلا عن ان "خيرالدين" كانت تعوزه الذخيرة الحربية والاطار العسكري الكفء، مع الاخذ بالاعتبار عدم تمتعه بادئ الامر بشعبيه، وليست له صداقات لدى المواطنين، كل هذه العوامل دفعت "خير الدين" ان يستنجد بالسلطان "سليم الاول" حتى يعمل على ربط الجزائر بالإمبراطورية العثمانية، وقد كان هدف "خير الدين" القيام بنفسه بزيارة اسطنبول، غير ان زعماء مدينة الجزائر توسلوا اليه ليبقى بالجزائر خوفا من مجابهة الاعداء[1].

لقد وضع خير الدين ثلاثة احتمالات:[2]

ـ الاحتمال الأول العودة الى جيجل والانطلاق في العمل البحري من جديد.

ـ الاحتمال الثاني العودة الى مقر خلافة الباب العالي وان يضع نفسه في خدمة الخليفة.

ـ الاحتمال الثالث البقاء ومواصلة الكفاح.

وقد استقر رأيه على الاحتمال الثاني، الذهاب الى مقر الخلافة، وخاطب الأعيان قائلا:" الآن لم يبق لي شيء أفعله من اجل اسعاد مدينتكم، لقد قررت أن أغادركم وأترك إلى جانبكم فرقة كافية من المحاربين الابطال، الذين سيعملون من اجل أن يحترم اسم الجزائر ..... عندكم الاسلحة والسفن، والذخائر من اجل ان تقوموا بمحاولات جديدة .... حين وصلت اليكم لم يوجد ولا مدفع واحد، والآن بفضل الله لديكم أكثر من 400 مدفع. حينما تجدون أنفسكم أمام ضائقة ، وتبرز أمامكم حالات صعبة وخطيرة، استشيروا الفقهاء وهاذين القائدين: أحمد بن القاضي قائد المنطقة الشرقية، ومحمد بن علي قائد المنطقة الغربية، وبعون الله ستتغلبون على كل العراقيل".

---

1 عبد الجليل التميمي ، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519م"، **المجلة التاريخية المغربية**، تونس، عدد 6، جويلية 1976 ، ص 117 ، 188.

2 ربيعة بهلول، **النظام الاداري العثماني في الجزائر ومراحل تطوره 1519 – 1830م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2، 2016/2015م، ص20، 21.

لكن أعيان مدينة الجزائر وكبارها ألحوا عليه بالبقاء في المدينة، فيقول صاحب كتاب الغزوات في هذا الموقف: " فقالوا أيها الأمير لا تطيب انفسنا بفراقك، ولن نسمح لك بذلك فإن الله تعالى قد نصرنا بك على العدو، وحصل في قلوبهم الرعب منك ... وجعلوا يتضرعون بين يديه، ويظهرون التآلف على فراقه...."[1]

وقد قام الدكتور عبد الجليل التميمي بترجمة وثيقة تركية محفوظة في دار المحفوظات التاريخية باستنبول، رقمها 4656 وهذه الوثيقة هي رسالة موجهة من سكان بلدة الجزائر إلى السلطان سليم الأول السلطان العثماني، بعد عودته من فتح مصر إلى استنبول، وهي مؤرخة بتاريخ 925هـ الموافق لـ: 1519م، وقد كتبت هذه الرسالة بأمر من خير الدين، وكان غرضها ربط الجزائر بالدولة العثمانية، وتعتبر هذه الرسالة ، شاهدا على احوال الجزائر السياسية عام 1519م، حيث اوضحت هذه الوثيقة الهامة الكثير من الأحداث أدت في النهاية الى جعل "خير الدين " وأهالي الجزائر يطلبون العون من السلطان العثماني، والانطواء طواعية تحت سلطة الدولة العثمانية ، كما أوضحت الرسالة أيضا المدى الذي كان يتمتع به خير الدين من شعبية وسمعة طيبة لدى الأهالي ، وأكدت الرسالة إلى أنه الرجل الذي حكم بعدالة مطبقا تعاليم الاسلام، كما امه أظهر شجاعة عندما أثناء جهاده في سبيل الله بنية حسنة وقلب صادق، كما ركزت الرسالة على ان زعماء المدينة توسلوا إلى خير الدين أن يبقى بالجزائر خوفا من محاربة الأعداء [2].

إن اختيار "خير الدين لسفيره وهو الفقيه العالم "احمد بن القاضي" كان حكيما، فقد اراد ان يدلل السلطان عن طريق احد الشخصيات العلمية والحربية للبلاد، وان الاهالي متعلقون بشدة بالباب العالي، وربط البلاد بالإمبراطورية العثمانية، وليس ذلك رغبة شخصية من "خير الدين"[3].

---

1 مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م، ص41.

2 أحمد سالم ، المرجع الأسبق ، ص94.

3 للمزيد حول رسالة الأهالي انظر : عبد الجليل التميمي، المرجع السابق ، 116-127.

وقد نجحت هذه الرسالة في مسعاها فقد سارع السلطان "سليم الاول" الى منح رتبة بايلر باي (أمير الامراء) إلى خير الدين، وهي رتبة تخول لصاحبها ان يكون نائبا للسطان في هذه البقاع. وكان من مدلولات منح هذه الرتبة الرفيعة أن البلاد التابعة لـ "خير الدين " (الجزائر) تصبح تحت السيادة العثمانية، وان اي اعتداء على اراضيها يعتبر اعتداء على الدولة العثمانية [1].

1 أحمد سالم، المرجع السابق ، ص 95.

اول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م.

نـــص الوثيقـــة المعربـــة :

ترجمة رسالة القاضي والخطيب والفقهاء والائمـة والتجار والامناء وكافة سكان مدينة الجزائر العامرة (19) .

اننا ندعـو بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العليـة ، دعاء يبلغها اقصى الامانى ، فان عبيدكم بالجزائر يكبرون الى مقامها السامى معبرين ومعترفين لمقامكم العـالى بالاجلال والتعظيم ابـدا ، وان رسالتنـا هـذه لا تستطيـع ان تستعرض كل الاسرار . ان سعادة ايـامكم هى فرحتنا ونحن لزمام اموركـم وطاعتكم مستبشرون وعليكم لا محالة اعتمادنا . فظاهرنا كباطننا مخلص لكم اولا وآخرا . فقد أطعنا امركم وعبيدكم ليس لهم غير جنابكـم يرفعون اليـه غاية الاجلال والتقدير وليس لهم من قصد غير شريف مقامكم العالى .

لقد جرت حـوادث جليلة ولها اخبار طويلـة فى نصر المؤمنين وهزيمـة اعداء الله . ومفادها ان طائفة الطاغية لما استولت على بلاد الاندلس ، انتقلـوا منها الى قلعـة وهران للاعتداء على سائر البـلاد . غير انه بعد استلائهـم على بجاية وطرابلس بقيت الجزائر (بين الكفـار) كالنقطة فى وسط الدائـرة ،

---

(18) ان ثقـة خير الدين التى وضعهـا فى ابى العباس هـذا ، كانت لها نتائـج وخيـمة . اذ تحالف ابو العباس مع اعـداء خير الدين وهجم على الجـزائر التى احتلها وحكمها خـلال خمس سنيـن . وقد اضطر خير الدين اثرهـا الى الالتجـاء الى جيجـل ولم يتمكـن من استرجاع الجزائر الا بعد خمس سنوات وقد تم له القبض على « ابو » العباس ثم إعدامه .

(19) دار الوثائق بطوب كوبى رقـم 6456 .
لا شك ان هذه الرسالة وجهت بادئ الامر باللغة العربية الى الباب العالى ، كما توضحه مدخل الترجمة نفسه . ولم نعثر الا على النص التركى المترجم .
راجع النص التركى لهذه الوثيقة وصورة عنها بالمدد 5 من ، **المجلة التاريخية المغربيـة** ، جانفى 1976 ، القسم الفرنسى ، ص 97 ـ 99 .

وبقينا لذلك سيارى متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب ولكن تمسكنا بحبل الله المتين واتكلنا عليه . غير ان طائفة الطاغية شددت علينا الطلب عادفة ادخالنا تحت ذمته (سلطته) . وقد نظرنا في الامر ورأينا ان المحن والشدائد تشتد وان الضرورة تقضي بحقن دماء انفسنا وخوفا على حريمنا واموالنا واولادنا من السبي والتفريق ، تصالحنا مع العدو التقليت وانا لله وانا اليه راجعون .

وبعد هذه المضايقة والحصار دخل الكفار الى وهران وبجاية وطرابلس وكان قصدهم ان يأتوا ببسفنهم ويستولون علينا ويأسرونا ويشتتون شملنا ، فجاة . آنذاك قدم ناصر الدين وحامي المسلمين المجاهد في سبيل الله اوروج باي مع ثلة من الغزاة . فقابلناه بالعز والاكرام واستقبلناه ، لاننا كنا في خوف (من عدونا) فخلصنا بفضل الله . وأوروج باي المشار اليه جاءنا من تونس لانقاذ بجاية من يد الكفار وتأمينها بالمسلمين . فلما وصل الى القلعة وحاصرها مع المجاهد الفقيه الصالح أبو العباس احمد بن قاضي زازلوا اركانها وهدموا بنيانها ، وشاهد الكفار عندما دخل القلعة المسلمون وهاجموهم واستولوا عنوة على برج منها ، اختلال بنيانهم وقرب حتفهم حرب بعض الكفار الموجودين بالقلعة وقتل الباقون منهم .

لقد حارب المسلمون الكفار اناء الليل واطراف النهار من طلوع الشمس الى غروبها . وعلى الرغم من ترك بعض من جماعة اوروج القتال ، بقي المشار اليه يقاتل الكفار مع جماعة قليلة ، وكان قد عزم على لقائنا غير انه وقع شهيدا في حرب تلمسان رحمه الله . وقد حل مكانه أخوه المجاهد في سبيل الله أبو التقى خير الدين وكان له خير خلف ، فقد دافع عنا ولم نعرف منه الا العدل والانصاف واتباع الشرع النبوي الشريف ، وهو ينظر الى مقامكم العالي بالتعظيم والاجلال ويكرس نفسه وماله للجهاد لرضاء رب العباد واعلاء كلمة الله ومناط آماله سلطنتكم العالية مظهرا اجلالها وتعظيمها ، على ان محبتنا له خالصة ونحن معه تابعون . وكيف لا نحبه وهو المشمر عن ساعد الجد والاقدام ، ويقرد لجهاد سنا في سبيل الله بنية خالصة وقلب صادق تتفق الكلمة معنا في الشدة والرخاء لاعلاء كلمة الله . فالعقيدة الايمانية كوكب وهاج ودليل واضح المنهاج . ومفاد ما يريد عبيدكم اعلامه لمقامكم العالي هو ان خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي الا ان عرفاء البلدة المذكورة رفعت ايديهما متضرعة اليه حتى لا يرتحل خوفا من الكفار اذ عددهم هو ، الليل منا ، ونحن على غاية الضعف والبلاء . ولهذا ارسلنا الى بابكم العالي الفقيه العالم المدرس سيدي ابو العباس احمد بن علي بن احمد ونحن واميرنا خدام اعتابكم العالية ولمقامكم العالي بجاية والغرب والشرق خدمة مقامكم العالي وان المذكور حامل المكتوب سوف يعرض لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من الحوادث والسلام . اوائل ذي القعدة 925 (20) .

وقد أرسل ايضا المزوي والمعتكف بالجامع الاعظم بمدينة الجزائر عبيد الله وخادم فقراء اهل السنة محمد بن منصور بن علي الطنبسي (21) ، رسالة يذكر فيها بضعف القوم في ارضي غربته ، انهم على وشك الهلاك عندما قسم خير الدين وقد وقعوا في المحن المرة تلو الاخرى ايام الاضطرابات وانهم باقون على الدعاء بدوام أيام دولة السلطان .

(20) ما بين 26 اكتوبر و 3 نوفمبر 1519 .
(21) على الرغم من تدقيقاتنا لم نعثر على معلومات حول هذه الشخصية .

عبد الجليل التميمي ، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519م" ، **المجلة التاريخية المغربية**، تونس، عدد 6، جويلية 1976، ص119–120.

المحاضرة 5 ـ مرحلتي البايلربايات والباشوات

بعد التحاق الجزائر بالدولة العثمانية تصبح أول إيالة عثمانية في الشمال الافريقي وبتعيين "خير الدين" اول بايلرباي للجزائر 1519م، تبدا الانظمة السياسية العثمانية في الجزائر، فما هي المراحل الأربعة السياسية، التي مرت بها الجزائر خلال حكم العثماني؟

1 ـ مرحلة البايلربايات (1519م-1587م):

خلال معظم فترة القرن 16م كانت السلطة تمارس من طرف البايلربايات مباشرة أو عن طريق نوابهم، وكانت سلطتهم تصل باشوات تونس وطرابس، وكانوا يتصرفون باستقلالية[1]، ويتمتعون بثراء كبير، وقد طغت على هذه المرحلة فكرة مقاومة الاحتلال الاسباني، سواء على الارض الجزائرية أو في البحر الابيض المتوسط ، وظهر فيها تعاون وتفاهم بين مقر الخلافة اسطنبول والجزائر، إذ جمع الطرفين فكرة الوحدة الجهادية لمواجهة التوسعات الاستعمارية للقرن 16م، فالمصالح المشتركة بين الطرفين والعدو واحد[2].

كان "خير الدين" أول حاكم بالجزائر يلقب بـ: البايلر باي، وقد حكم خلال هذه الفترة 20 حاكما، عاد عدد منهم الى الحكم مرتين أو اكثر، وكان الرجال الذين يعينون على راس الولاية يمتازون بالشجاعة والذكاء وحسن السيرة، كما ان خلال هذه الفترة من أصول متعددة إذ نجد منهم العلج كحسن آغا وحسن قورصو، والتركي كقائد صفا ومحمد باشا تكرلي، والعربي كصالح العربي وعرب احمد، والكرغلي كحسن بن خير الدين، ورغم وجود الأوجاق المشكل من الانكشارية، فقد امتازت هذه الفترة بحكم رياس البحر كبار، لم يكونوا يعملون لحسابهم الخاص، أو لحساب طائفة رياس البحر[3].

---

1 محمد خير الدين فارس ، المرجع السابق ، ص56، 57.

2 عائشة غطاس، المرجع السابق ، ص44.

3 نفسه، ص45.

وقد عرف فترة البايلربايات بروز شخصيات بارزة جد مؤثرة على ساحة الاحداث الداخلية والخارجية :

ـ **المجال الداخلي:** وضع البايلربايات اسم الجزائر الحديثة، اذ عززوا نفوذ السلطة المركزية، وعرفت الجزائر حدودا ثابتة وعاصمة رسمية، ففي عهد "حسن بن خير الدين" وضعت الأسس الاولى للتنظيمات الادارية الحديثة، إذ قسم البلاد الى مقاطعات عرفت بالبايليكات وخصت الجزائر بنظام خاص عرف بـ: دار السلطان. وسعى حكام آخرون الى تطهير الارض الجزائرية من الوجود الاسباني شرقا وغربا، فقد تمكن صالح رايس من تحرير بجاية والقضاء على الدولة الزيانية نهائيا عام 1555م، كما قضى على التمردات الداخلية، ووسع نفوذ السلطة المركزية حتى الاقاليم الصحراوية، واحات ورقلة و تقرت [1]

كما اهتم حكام الجزائر خلال فترة البايلربايات بتحصين البلاد ما دام الخطر يأتي غالبا من البحر، فقد عززوا الدفاعات البحرية، إذ بمجرد تحرير حصن البنيون في 1529م، هدمه "خير الدين" وبنى ما عرف بـ:حوض خير الدين، وأنشأ حصنا ذا اربع طوابق، وما فتيء خلفاء خير الدين يولون اهتماما لهذا الميناء لأنه النقطة الرئيسية للاتصال مع العالم الخارجي لأهميته، إذ اضيفت له تحصينات جديدة في 1556م، ثم في 1568م ثم 1573م، أما المدينة فقد تم تحصينها كذلك بالأسوار والابراج وحفرت الخنادق[2].

ـ **المجال الخارجي:** تمثل في مجال الدفاع الحدود الجزائرية، حيث تمكنت الجزائر في 1541م من صد حملة شارلكان الصليبية، وهي تحت حكم حسن آغا خليفة خير الدين، وقد صدمت أوروبا بنبأ صمود الجزائريين أمام شارلكان والحاقهم الهزيمة به، وجعلها تفكر قبل أن تتجرأ على إرسال حملة ضد الجزائر ، تبوأت الجزائر منذ ذلك الحين مكانه معتبرة وأصبحت تدعى الجزائر المحروسة.

---

1 عائشة غطاس، المرجع السابق ، ص46، وأنظر محمد خير الدين فارس، المرجع السابق ، ص88.

2 عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 46.

ـ حملة شارلكان 1541م[1]:

لما توجه خير الدين إلى تركيا، سمع شارل الخامس بمغادرته الجزائر بصفة نهائية، فأراد أن يغتنم الفرصة، فوجه أسطوله العرمرم الى الجزائر قصد القضاء عليها، وكان عزمه تهديم المدينة وتخريبها من الأساس ، مثلما فعل الرومان بقرطاج بعد الحروب البونيقية، وكثيرا ما كان البابا بول الثالث يحرض شارل الخامس على محاربة الجزائر ويحرض الناس على القتال ببلاد المسلمين لينالوا الجنة.

وكان شارل الخامس متأكدا أن لا شيء يخلد اسمه الا اذا أخضع تلك الأقطار تحت راية المسيح، وقيل أن عزم شارل الخامس بالهجوم على الجزائر سببه أن أسطول حسن أغا أخذ سفينتين محملتين بالنقود والبضائع وسبى ما فيها من الزاد والبشر.

وقد ورث حسن أغا وضعية عصيبة وحرجة تفيد أن ملك اسبانيا شارل الخامس يعد حملة ضد الجزائر، وهو ما يشير اليه تقرير اسباني عام 1536م" أن سكان المدينة في قلق شديد لانهم اتصلوا بانباء موثوق بها تفيد تحرك اسطول جلالتكم".

مما جعل حسن أغا يسخر كافة جهوده على الجبهة الداخلية للتصدي للعدو، كما صنع 31 سفينة، كما قام بشن حملات عديدة ضد السواحل الاسبانية وتعزيز تحصينات المدينة لمواجهة العدو. حيث حققت الجزائر انتصارا ساحقا باسترجاعها لصخرة البنيون عام 1529م. وحقق البحارة الجزائريون انتصارات متتالية ضد الاسبان.

وقد كان انتصار شارل الخامس على تونس 1535م ، وتعهد فرانسوا الاول له بالتزام الحياد، شجعه على العزم على تحطيم الجزائر التي ظلت كالشوكة في جنب الاسبان، كما

---

1 للمزيد حول حملة شاركان انظر : كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص91-100. يقول: ان هذه الحملة كانت نتيجتها فاصلة بالنسبة لمستقبل مدينة الجزائر، وأن مدينة الجزائر استحقت لقب المحروسة، وأصبحت المدينة الأكثر قوة من بين المدن الجديدة في حوض البحر الأبيض المتوسط.

وأنظر أيضا: مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر القديم والحديث،3ج**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ج3، ص 68، 69. ـ وعبد الحميد بن أشنهو، المرجع السابق، ص 194، 203. وـ عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 27 – 32.

كان يرى أن أول واجي يحتم عليه بصفته حفيد فاردیناند الكاثولوكي هو القضاء على الجزائر، ولهذا الغرض ارسل جواسيسه.

بعد تحضيرات طويلة انطلق الاسطول العرمرم 18 أكتوبر 1541م وكانت هذه الأرمادة من أعظم ما شهد القرن 16م ، حيث ضمت 516 سفينة شراعية، من بينها 65 بارجة كبيرة على متنها 12330 بحار و 23900 جندي. كما شارك النبلاء من اسبانيا وألمانيا وايطاليا بأعداد من المتطوعين أيضا، وانظم اليه فيلق من فرسان مالطا .

وحرص شارل الخامس على أن تكون له قيادة الحملة كي يفوز بشرف تحطيم مدينة الجزائر مصدر قلق المسيحية، وصلت الأرمادة في 20 أكتوبر حيث وصفها صاحب الغزوات" وخيل لأهل الجزائر حين طلعت هذه العمارة أنها جبل يسير في البحر وحين أرست بذلك الجون خيل لهم أن جبلا استقر هناك".

لكن حسن أغا تمكن ان يطمئن الأهالي ويهون عليهم ما راو، ثم انتقل الى التصدي للعدو فحشد كل ما لديه من قوى، واعلن عن التعبئة العامة، والزم السكان بقواعد الحراسة من ابراج وبطاريات واسوار، ونصب عليهم الاسلحة والرايات الخضراء والصفراء المزينة بالهلال وبعض الايات القرانية، ثم امتطى فرسا واصبح يجوب شوارع المدينة مراقبا سير الاعمال واشرف بنفسه على توزيع فرق الانكشارية على كافة ابواب المدينة[1].

خلال هذا وصل مبعوث اسباني حاملا رسالة شارل الخامس مهددا بتسليم المدينة، فجاءه الرد قاسيا من حسن أغا" يا كلب النصارى ما قدرت على أضعف بلاد البربر فكيف على مدينة الجزائر ...". فكان ردا قصده ان حسن أغا مستعدا لخوض المعركة مع العدو، فكانت خطة حسن أغا مهاجمة العدو ليلا ومن الخلف بقوة تتشكل من 600 مقاتل و2000 فارس مما جعله يلحق خسائر جسيمة بالاسبان. وفي اليوم الموالي زحف الاسطول الاسبني نحو المدينة، فتعرض الى قصف متواصل بالمدافع والسهام من اسوار

1 عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 29.

المدينـة وابراجهـا، رغـم ذلـك نـزل نـزل جـيش العـدو بكديـة الصـابون واتخـذها قاعـدة لـه واستمرت المعركة بين الطرفين.

وفي اليوم التالي تدخلت العناية الالهية ، اذ وقعت زوبعة عصفت بالاسطول لتزيد من خسائر العدو، حيث تحطم عدد كبير من السفن وغرقت أخرى، كما غرق عدد كبير من الاسبان، كما فر الاسرى المسلمون واستطاعوا ان ينجوا ، واحدثت هذه الزوبعة بلبلة كبيرة في صفوف الاسبان حيث، "خيل لهم ان القيامة قد قامت من كثرة الرياح والامطار" .

وبعد الكارثة التي حلت بالجيش الاسباني تقرر في 26 أكتوبر الانسحاب بناء على نصيحة الأميرال "دوريا" ، لد كانت الخسائر التي تكبدها الاسبان جسيمة فقد وصفت بالخراب ، الكارثة، إذ فقد الاسبان كل شيء: 200سفينة، 200 مدفع، وكل العدة والذخيرة والأسلحة، أما ما غنمه الجزائريون فلا يمكن احصاءه.

لقد اكسب رد حسن أغا الناجح على اعظم حملة عسكرية اعدت وقتذاك ، اكسبه هبة وعظمة لا مثيل لهما. وعمت الفرحة الكبرى مدينة الجزائر واقيمت الافراح وظل السكان يحتفلون بذكرى الانتصار 30 سنة. وكانت اصداء الانتصار كبيرة لدى السلطان العثماني، وامر بتأكيد حسن اغا حاكما لمدينة الجزائر.

وقد منعت هذه الحادثة الدول الاوربية عن التفكير في توجيه حملة عسكرية اخرى ضد الجزائر ابان القرن 16م، واشتهرت مدينة الجزائر بـ : الجزائر المحروسة".

غير أن المؤتمرات في الخفاء بقيت مستمر من الجانب الاسباني، خاصة مع السعديين على الحدود الغربية للجزائر ، لكن البايلربايات المتوالين على السلطة، تصدو لها وتمكنوا من تأمين الحدود الغربية للجزائر، ولم يقف نشاطهم عند هذا الحد ، فقد ساهموا في حوض الجهاد المشترك في البحر الابيض المتوسط الى جانب الدولة العثمانية في مجالين :

ـ طلب الدولة العثمانية من بايلر بايات الجزائر تحديث الاسطول العثماني.

ـ المساهمة الجزائرية الى جانب الدولة العثمانية [1].

هكذا كانت فترة البايلربايات مرحلة تنظيم وبناء الدولة الجزائرية الحديثة معلومة الحدود والاقاليم والعاصمة ، لها دورها في المجال الإقليمي.

2 ـ مرحلة الباشوات : (1587-1659م) :

لما توفي العلج علي 1587م قدرت الدولة العثمانية أن الوقت قد حان لإدخال الولايات الثلاثة للشمال الإفريقي (الجزائر، تونس، ليبيا) في إطار التنظيمات العثمانية العادية ، فألغت بايلربايات الجزائر وحولت الولايات الثلاثة إلى نيابات يديرها باشا يعنين لمدة ثلاث سنوات، ويفسر هذا التغيير في شكل الحكم العثماني بخوف السلطان من ان يتجه بايلربايات الجزائر بسبب قوتهم وضعف البحرية العثمانية نحو الاستقلال[2].

فتعيين الباشا لمدة ثلاث سنوات يجعل الباشا يعرف أن مدة ولايته محسوبة، وهذا الشعور له دخل كبير في خلق الانفصال بين الوالي والشعب، وليس بحاجة لولاء الشعب، فيصبح همهم جمع أكبر قسط ممكن من الاموال، وقد تسبب هذا في التنافس في تقديم الرشوة والهدايا للترشح لنيل هذا المنصب[3].

لم يكن للباشوات القادمون للإيالة اساس او سند محلي بين القوى التي كانت تسيطر على أوضاع الجزائر، فهذا يفرقهم عن البايلربايات الذين كانوا زعماء للجهاد، بينما هم مجرد موظفين ترسلهم إسطنبول لخدمة السلطان العثماني في الجزائر[4].

كما شهدت هذه الفترة من تاريخ الجزائر ثورات متعددة من القبائل، حيث كان للزعماء المحلين سلطة ونفوذ، بالإضافة إلى سلطة طوائف الجند والبحرية وغيرهم[5].

---

1 عائشة غطاس ، المرجع السابق، ص47، 48.

2 محمد خير الدين فراس ، المرجع السابق، ص59.

3 مبارك محمد الميلي : المرجع السابق، ص 137،138

4 محمد خير الدين فارس: المرجع السابق، ص 59

5 شوقي الحمل، المرجع السابق، ص 102

ولما بدأ عهد الباشوات لم يلقوا من رجال الطائفة والانكشارية دعما ولا احتراما، وأصبح الباشا لا يستطيع القيام بمهامه، إلا بعد ان يفوز بثقة الانكشارية، في حين انصرف رجال الطائفة الى البحر لممارسة القرصنة ، وقد حاول خضر باشا 1596م، أن يتحرر من وصاية الانكشارية بمساعدة الكراغلة والقبائل المستعدة للثورة ، ولكن المحاولة ظلت دون نتيجة، واضطر الباشا أن يتقبل مشاركة الديوان (مؤلف من الرؤساء الجند) له في السلطة [1].

وكان على الباشا أن يثبت في أول كل قرار رسمي هذه الجملة" نحن الباشا والديوان وجق الجزائر المظفر" [2].

ولقد عرفت الجزائر خلال هذه المرحلة أكثر من 40 باشا[3]، تجدد تعيين بعضهم أكثر من مرة وتعرض الكثير منهم للعزل والسجن على يد الأوجاق، وكان عهد معظمهم قصيرا، فقد استمر حكم يوسف باشا سنة 1640م أربعين يوما، ثم عزل وسجن سنة 1642م، بسبب تأخره عن دفع رواتب الجند، ثم عاد للمرة الثالثة سنة 1647م، وبين 1655- 1659م تعاقب على الحكم أكثر من مرة كل من أحمد باشا ، إبراهيم باشا، وكانت هذه الفترة مليئة بالاضطرابات، مما دفع بالأوجاق الى إنهاء حكم الباشوات[4].

بعد أن أصبحت مهمة الباشوات الاساسية جمع الضرائب، التي تسمح له بدفع رواتب الجند وتجهيزهم، وهي النفقة الالزامية الوحيدة، وقد استغل الباشوات هذه الوظيفة المالية ،

---

1 حنفي هلايلي ، **أوراق في تاريخ الجزائر في لعهد العثماني**، دار المهدي، الجزائر،2009، ص 133.

2 شارل اندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالى البشير بن سلامة، دار التونسية للنشر، تونس، ط4، 1983، ج1، ص 352

3 للاطلاع اكثر على مرحلة الباشوات وذكرهم، انظر كتاب: ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، **تقييدات بن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمع : فارس كعوان، بيت الحكمة ، الجزائر، ط1، 2009م. حيث يذكر ان عدد الباشوات الذين حكموا الجزائر هو 54 باشا.

4 حنفي هلايلي، المرجع السابق ، ص 133.

فكـانوا يتلاعبـون أو يتـأخرون فـي دفـع رواتـب الجنـد، وكـان الباشـوات قـد أرهقـوا سـكان الجزائر بشجعهم ونهبهم[1].

1 حنفي هلايلي، المرجع السابق ، ص 134.

المحاضرة:6 ـ مرحلتي الأغوات والدايات

3 ـ مرحلة الأغوات : 1659- 1671م:

تمكن قادة الجيش من الاستلاء على الحكم تدريجيا عن طريق مجلس الاوجاق، الذي يترأسه عادة أحد الاغوات، ويعتبر نظام الاغوات محاولة لإيجاد نوع من التوازن والديمقراطية داخل مختلف اجنحة المؤسسة العسكرية للسيطرة على السلطة[1].

وتعتبر مرحلة الاغوات بداية عهد توتر العلاقات مع الباب العالي، حيث رفض السلطان ارسال باشا جديد، بعد طرد علي باشا مبعوث السلطان وآخر باشوات الجزائر، بقوله وتلا مقتل علي أغا 1671م غضب السلطان العثماني وارسل فرمانا مفاده: " أخيرا لن نرسل لكم واليا، بايعوا من تريدون .. لدينا آلاف الممالك مثل الجزائر" وهددهم قائلا: " وغن اقتربتم من الممالك العثمانية فلن تكونو راضين"[2].

ويعتبر هذا العهد عهد تسلط الجيش على الحكم ، ويمثل احلك فترة في تاريخ الحكم العثماني في الجزائر، ويعود السبب في قيام حكم الاغوات الى سياسة الباشوات المالية. فقد اتهم الجند ابراهيم باشا بنهب المعاشات والضرائب ، وكان السبب المباشر في تجريد الباشا من سلطانه، هو محاولة ابراهيم باشا ان يستوفي العشر من المنح، التي كان السلطان يرسلها لمساعد الاسطول الجزائري ، مما أثار رد فعل شديد، دفع الديوان الى اتخاذ قرار بإلغاء إمتيازات الباشا. ولم يترك للباشا سوى اللقب الشرفي، وأخذ الأغوات منذ سنة 1659م يمارسون السلطة التنفيذية[3].

---

1 حنفي هلايلي، المرجع السابق ، ص 134.

2 ألتر عزيز سامح، **الاتراك العثمانيون في شمال افريقيا**، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1989، ص 387. للاطلاع أكثر حول العلاقات أثناء مرحلة الأغوات ، أنظر: أمين محرز، **الجزائر في عهد الاغوات 1659-1671م**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

3 شارل اندي جوليان، المرجع السابق، ص 352، ومحمد خير الدين فارس، المرجع السابق، ص 66. وانظر أيضا: Mouloud Gaid, **L'Algérie sous la domination turque**, Tunis,1975 , P 132.

كما أرسل الصدر الاعظم فرمانا آخر إلى البحارة في جميع السواحل العثمانية، وإلى والي مصر وشريف مكة، يطلب منهم منع الجزائريين من الذهاب إلى الحج وعدم بيع السلاح لهم، وعدم السماح لهم بالاقتراب من السواحل العثمانية. فندم الجزائريون كثيرا، وظل وفدهم عاما كاملا في إزمير دون ان يسمح له مقابلة الصدر الأعظم، كما أرسلوا وفدا آخر لطلب الشفاعة من السلطان، وقد اعترفوا بذنبهم وقالوا للسلطان لو أرسلت لنا كلبا لقبلناه باشا علينا، وبالرغم من ذلك فإن الصدر الأعظم لم يستمع لهم ولم يغفر لهم ولن يقبل شفاعتهم. وبعد محاولة ثانية محملة بالهدايا الثمينة والتحف الجميلة ، عفا عنهم السلطان وتهدوا بأن الجزائريين يلتزمون بأوامره، وقبل الجزائريون الباشا الجديد ممثلا للسلطان[1].

وقد نتج عن نظام الاغوات نقاط ضعف خطيرة ، فانتخاب الاغا كل شهرين ينتج عنه، إما اختلال في السلطة في حال الامتثال ، أو اندلاع الانتفاضات إذا تمسكوا بالحكم ، والواقع أن النظام الجديد أقر الاغتيال طريقة عادية للخلافة، إذ كان مآل الاغوات الاربعة، الذين تقبلوا قفطان الشرف من سنة 1656- 1671م ، الاغتيال من طرف الأوجاق [2].

وبهذه الصورة يمكن القول ان العساكر أسسوا جمهورية عسكرية، لكن تبديل الاغا كل شهرين كان امرا مستحيلا، ونتيجة لتمرد الانكشارية واستلامهم زمام الأمور ، انتخب خليل أغا كأول أغا على الجزائر. هذا جعل الاجانب يعتقدون بان القوة الحقيقة أصبحت بيد الانكشارية، وان نفوذ الرياس قد تضاءل وضعف، وان القرصنة ستواجه ضربة قاسية جدا، وبهذا سيعم الام والاستقرار على البحار[3].

1 ألتر عزيز سامح، المرجع السابق، ص 387، 388.

2 شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 352.

3 ألتر عزيز سامح، المرجع السابق، ص 388

ولكن استمرار القرصنة كانت ضرورية للاوجاق، لتامين الغذاء والطعام لجيش كبير في بلد تجارتها وصناعتها وزراعتها قليلة ومحدودة، لذلك اندفعوا لكل قواهم إلى البحار ملحقين الأضرار الجسيمة بالحكومات المجاورة، وكان من الطبيعي أن تعتمد الجزائر على البحر لضمان وارداتها. فخلال عهد الاغوات مارس القراصنة نشاطهم البحري ممارسة شديدة وعنيفة، ولقد وجهوا ضربات قوية ومنظمة للسواحل الايطالية والاسبانية، وحققوا من جرائها نصرا كبيرا وغنموا الشيء الكثير[1].

وقد كانت كثرة الاعتداءات والمخالفات تسبب الكثير من المشاكل لحكام الجزائر، وتضعف من موقفهم الداخلي إزاء الطائفة والجيش والأهالي، ولأنهم كانوا عاجزين عن توفير الاستقرار الداخلي . انتشار الفوضى الكاملة في الجزائر، فخلال ثلاثة أيام عين الجند خمس أوست أغوات ، ولكن هؤلاء امتنعوا عن قبول هذا المنصب الخطير[2].

آنذاك اجتمعت طائفة رياس البحر ، وحولت هذا التمرد ضد على أغا إلى انقلاب حقيقي، فقرروا الغاء نظام الأغوات، وتعويضه بنظام آخر أكثر استقرارا هو نظام الدايات، وقد حاولت طائفة الرياس أن تتجنب الخطأ الذي وقع فيه اليولداش عندما قيدوا نظام الاغوية بمدة قصيرة، لكن طائفة الرياس وقعت في خطأ لا يقل عنه خطرا عندما قررت انتخاب الداي لمدة العمر[3].

وهكذا سارعت الطائفة لانتزاع السلطة من الجيش، وأنهت عهد الأغوات، وفرضت أحد زعمائها سنة 1671م حاكما للجزائر. ليبدأ بذللك عهد جديد، هو عهد الدايات والمرحلة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر.

---

1 ألتر عزيز سامح، المرجع السابق، ص 388، 400.

2. محمد خير الدين فارس، المرجع اسابق، ص 68-69.

3 محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 178.

4 ـ عهد الدايات 1671-1830م:

يعتبر نظام الدايات انتصارا لطائفة رياس البحر ، كما يدل على ذلك اختيار الدايات الأربعة الأولين من بين طائفة رياس البحر. وقد أبقى الرياس هذه المرة على منصب الباشوية، كما فعل من قبلهم اليولداش الذين أبقوا عليه أيضا. لكن منصب الباشوية أصبح اسميا شكليا لا تأثير له في توجيه سياسة البلاد، وانما هو رمز فقط للعلاقة الشكلية ، التي تربط بين الجزائر والخلافة العثمانية. وبهذا الاعتبار كان الداي عبارة عن ملك مستقل، لكن نظام الدايات يختلف عن النظام الملكي ونظام البايات في تونس بأنه لم يكن وراثيا. والفرق الوحيد بين شكلية منصب الباشا في نظام الأغوات، وشكليته في نظام الدايات، هو أن الباشوية في عهد الأغوات كانت منصبا يحتله شخص آخر غير آغا، أما في نظام الدايات فقد استمرت كذلك فترة من الزمن ، ثم تحول الى أن اصبح الداي هو نفسه الذي يحمل لقب الباشا[1].

تسلم الدايات السلطة منذ 1671م، عندما حلت سلطة زعماء الطائفة محل الأغوات، وأستمر انتخاب الدايات من قبل الطائفة حتى سنة 1689م، وكان الدايات الاربعة الذين حكموا بين 1671-1689م من زعماء الطائفة، قد عملوا على تقليص نفوذ الديوان ، ولم يكونوا يتقيدون بقرارته، الا لمصلحة مفيدة لهم، وفي عهدهم نشطت البحرية الجزائرية، مما أدى إلى قيام عمليات انتقامية اوروبية، لاسيما حملات فرنسية قاسية سنة 1682-1683م وسنة 1689م، وقد ألحقت هذه العمليات أضرار كبيرة في البحرية الجزائرية، وأضعت الطائفة، وقللت رصيدها بين السكان، مما سمح للجند باستعادة مركزهم سنة 1689م [2].

وقد رفض الداي علي سنة 1711م السماح للباشا الجديد بدخول الجزائر، وأرسل سفارة إلى اسطنبول عرضت على الحكومة العثمانية المصاعب الحادة الناجمة عن تعدد

1 محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 178.

2 نفسه، ص 69-70

السلطات، ونجحت حجج السفارة وهداياها في إقناع المسِولين، وتقرر جمع وظيفتي الباشا والداي لشخص واح. وسيحل حلول الدايات المنتخبين محليا، محل الباشوات الذين كان السلطان يرسلهم، وقد نتج عن هذا ضعف الصلات بين الجزائر واسطنبول وإن لم يلغها، مادامت السيادة العثمانية في الجزائر اسمية فقط ، وأصبح الداي هو الذي يبث في مسائل الحرب والصلح، وهو الذي يختار وزراءه بنفسه[1].

واحتفظت الدولة العثمانية لنفسها في الجزائر بسلطات شكلية فقط منذ سنة 1711م، تمثلت في الدعاء للسلطان العثماني في صلاة الجمعة ، والاعتراف بمراسيم التعيين، والتعاون في مجال الحروب [2].

ومما يجدر ملاحظته أن مباشرة الدايات لمهامهم الادارية والمالية ، كانت تتأثر بسلوكهم، وعلى هذا الاساس يمكن أن نميز بين صنفين منهم[3] :

ـ **الصنف الأول** : زاهد في متاع الدنيا، منصرف إلى الاعمال الخيرية مثل: الداي بابا أحمد عثمان 1766-1701م، الذي انفق ثروته الخاصة في تشييد المسجد المقابل لقصره ، وبناء القلاع والحصون لحماية مرسى الجزائر .

ـ **الصنف الثاني** :عرف بعدم القدرة على تسيير الأعمال ، لأنه توصل الى منصبه بفضل تمرد الجيش، وكان هِؤلاء الدايات يباشرون مهنة كمهنة الفحامين أو الاسكافيين أو الكناسين، ومثال هذا الصنف، الداي علي الغسال الذي كان يشتغل في غسل الأموات قبل سنة 1808م، والداي محمد عثمان الذي كانت مهنته إسكافيا، ليصبح خزناجيا، ثم دايا، فقد قال عن وصوله الى أعلى منصب "انه كان مكتوبا "

وقد تنوعت فترة حكم الدايات لطول مدتها بين الاستقرار وعدمه، وبين القوة والضعف والتذبذب في العلاقات الخارجية بين التوتر والصلح .

---

1 نفسه، ص 70-72.

2 عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 60.

3 حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص 138.

وقد نجح خلال هذه المدة الدايات الأقوياء في ان يعيدوا للسلطة مظهرها القوي، وهيبتها ومن هؤلاء مثلا : الحاج علي باشا (1809-1815م) والداي علي خوجة (1817-1818م) والداي حسين (1818-1830م)، وقد شهدت البلاد في عهد الداي حسين استقرار سياسيا دامت ولايته 12 سنة، حيث أنصبت جهوده على تنظيم أمور الدولة وتحقيق الامن والاستقرار، فقضى على التمردات والثورات الداخلية [1].

لكن الضربات والتحالفات الأوربية، وضعف الدولة العثمانية، والضغوطات عن طريق المؤتمرات الأوربية منها مؤتمر إكس لاشابيل 1818م الرامي إلى إلغاء ممارسة الرق، وبالتالي القرصنة البحرية، وكثرة الحملات المتكررة والمتعددة منها الحملة الانجليزية 1824م، ثم معركة نافرين 1827م ثم الحصار الفرنسي، سرع بالاحتلال الفرنسي للجزائر 1830م.

1 عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 60. و للمزيد الاطلاع حول الحملات الاوربية على الجزائر انظر: ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر العثماني**، دار البصائر ، الجزائر، ط2، 2009، ص 144-153

المحاضرة:7 ـ العلاقات الجزائرية مع تونس، المغرب، والاسبان

لقد كانت السياسة الجزائرية الخارجية مرنة وتصورته وذكية وسريعة ، واتسمت بلا قناع المطلق بالتفوق البحري والاعتقاد بدوام الدولة كعامل حيوي في السياسة أمة الإسلام ، وأن الثقة الجزائرية بالنفس والاعتقاد الجزائري بلا باستحالة اختراق تراب البلاد،كان لهما أساسهما المكين جيدا بالنظر إلى الفشل المستمر للحملات الأوربية التي أرسلت ضد الايالة وان العلاقات الجزائر الخارجية تندرج ضمن ثلاثة أصناف عريضة تلك التي مع الدولة المغرب المجاورة ، والعلاقات الجزائرية الأوربية ، والعلاقات مع الدولة العثمانية [1]

1 ـ العلاقات مع تونس :

بعد استرداد تونس للحكم العثماني من طرف العلج على وسنان باشا سنة 1574م، تأسست الايالة التونسية على غرار الطراز الجزائري ، وبعد العديد من التغيرات في نظام الحكومة التونسية، الذي استقر في شكل حكم عائلي، انجرت عنه إحتكاكات دورية، وكان على دايات الجزائر التدخل فيها، وأكثر هذه الاصطدامات قوة حدثت في القرن 18م ، حيث استولى الداي حامي مصطفى على تونس 1705م، وقد تدخلت الجزائر أيضا في الشؤون التونسية بعد وفاة حسين بن علي في 1740م ومساندة ابنه ، وهناك عامل تمثل في أن باي قسنطينة في ذلك الوقت قد دغدغته طموحاته في توسع بايليكه على تونس ، أما بإلحاق دولتها أو فرض ضريبة على الأقل على اولا حسين بن على الذين أعيد تثبيتهم[2]

وقد حدثت سلسلة المعارك الجزائرية التونسية خلال الفترة النابليونية، وبالرغم من توقف الدايات الجزائريين عن جمع الضريبة، فإنهم أبقوا كشرط تأييدهم للحسينيين على حق بيع الأنعام بتونس حسب سعر محدد، يسبق الأنعام التونسية ، وتحكموا في بيت

---

1 وليم سبنسر ، **الجزائر في عهد رياس البحر** ، تعريب وتقديم ، عبد القادر زبادية ، دار القصبة لنشر، الجزائر ، 2006، ص 162..

2 نفسه ، ص 163،164 .

الضيافة والبايلكية الرسمية في تونس، وكذلك كانوا يتلقون التجهيزات من زيت الزيتون التي تكفي للمحافظة على مساجد مدينة الجزائر ، وقد دفع هذا كله حمودي باي (1777-1813م) إلى محاولة التخلص من هذا الوضع ، فأعطى حق اللجوء السياسي لباي قسنطينة المخلوع "مصطفى"، ورفض بيع الأنعام الجزائرية بتونس بسعر أعلى من أسعار السوق ، وأعلن الحرب على الجزائر سنة 1806م، وهاجم التونسيون قسنطينة، لكنهم فشلوا في احتلالها، واضطروا الى الانسحاب، كما فشل الجزائريون في الهجوم على تونس فأنتقل الصراع إلى البحر[1]

وأنتصر الأسطول الجزائري في سنة 1811م على الأسطول التونسي، وفي سنة 1812م هاجم الجزائريون حلق الوادي بحرا ، ولكن الهجوم فشل ، كما فشل الهجوم الجزائري على الكاف ، وتدخل السلطان "محمود " لعقد الصلح ، فأضطر الداي الى الامتثال وعقد الصلح تحت تهديدات السلطان، بعد أن كان الداي قد رفض الصلح بقوله " نحن أسياد في بلادنا "[2].

لكن الصلح لم يطل، ذلك لأن باي تونس الذي شجعته الاضطرابات في بايليك قسنطينة، رفض تنفيذ شروط الصلح ، وظل التوتر قائما بينهما، ورغم تدخل الدولة العثمانية، وهذا يفسر الموقف الودي الذي اتخذه باي تونس من الحملة الفرنسية وتقديمه لها المساعدات، ومنعه القوة تركية من الوصول إلى الجزائر[3].

---

1 محمد خير الدين ، المرجع السابق ، ص 111، وانظر وليم سبنسر ، المرجع السابق ص 164، 165

2 Grammont ,H .D, **histoire d Alger sous la domination de turque**, 1515-1830, paris, 1881,p372.

3 محمد خير الدين ، المرجع السابق، ص 112.

2 ـ العلاقات مع المغرب:

امتازت بالتنافس الشديد خلال المرحلة الأولى للإيالة، وبدرجة أقل بعد ذلك، وقد كانت الخلافات في القرن 16م، تدور حول مراقبة تلمسان والمنطقة المحيطة بها، وحاول الزيانيون حكام تلمسان البقاء مستقلين عن كل من الأسبان والأتراك، فكانوا يتحالفون مع أي من الجانبين، وقد نتج عن ذلك معركة انتهت بأبعادهم من طرف الأتراك، ومنذ ذلك الوقت امتزج كل غرب الجزائر باستثناء وهران في الإيالة، وقد وصل التدخل الجزائري في الشؤون المغربية أوجه في النصف الأخير من القرن 17م مع الدولة العلوية، فقد تابع مولاي إسماعيل الحرب المقدسة مع الأتراك بكل شدة ، ولكن الداي شعبان جمع 6000 انكشاري و4000 فارس، طردت حوالي 70000 التي كانت تتكون منها قوة الشرفاء ، ومنذ سنة 1673م حول الأتراك عنايتهم إلى أمكنة أخرى، في حين دخل المغرب الأقصى في فترة عزلة استمرت حتى النهاية القرن 19م [1].

3 ـ العلاقات الجزائرية الإسبانية :

اكتفى الإسبان بنظام الاحتلال المقصور وحولوا الموانئ، التي استولوا عليها إلى قلاع حصينة كانت على الدوام بحالة حصار. وكان عصر البايلربايات عصر الصراع الحاد بين الإسبان والأتراك بحرا وبرا ، ونجح الأتراك في هذا العصر في تحرير الموانئ الجزائرية باستثناء وهران والمرسى الكبير، اللذان تأخر في تحريرهما حتى القرن 18م.

والواقع أن الاسبان حاولوا خلال القرن 16م الاستيلاء على كل من تلمسان ومستغانم، لانهم أدركوا أن وهران مثل مرسى الكبير ستظل مهددة بالضياع ما دامت هاتان المدينتان بأيدي الاتراك، وقد أظهرت معركة مستغانم وهزيمة الاسبان فيها سنة 1558م صحة هذا التحليل[2].

---

1 وليم سبنسر ، المرجع السابق ، ص 166.

2 محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص204.

لكن حسان باشا لم يعرف كيف يذهب بدلك الانتصار الى مداه الكامل، فلو استغل هزيمة الاسبان في مستغانم، وسار على رأس قواته إلى وهران ، لسقطت في يده بكل سهولة، إلا أنه قنع بحدود الانتصار الذي تم في مستغانم، ووجد أن ما احرز عليه من مغانم، كان كافيا في جعل الحملة التي قادها بطولية ماجدة[1].

قام الإسبان في مطلع القرن 17م بمحاولتين فاشلتين لنزول البر الجزائري وفي أواخر القرن 17م حاولت أسبانيا بعد أن انظمت إلى صفوف أعداء فرنسا، أن تعقد الصلح مع الجزائر، فقدمت هدايا للجزائر لأول مرة من بينهما سيف آخر ملوك غرناطة ، وعرضت تقديم مساعدة سنوية مالية طيلة مدة الصلح وهي سبع سنوات ، ولكن كره الجزائريين لإسبانيا ودسائس فرنسا أحبطت المحاولة [2].

واستغل الجزائريون في أوائل القرن 18م فرصة انشغال اسبانيا في حرب الورثة الاسبانية ، فهاجموا وهران سنة 1708م وضيقوا الحصار عليها، حتى أرغموا الأسبان على الاستسلام وأسرو منهم 2000 أسباني من بينهم 200 ضابط وعددا من فرسان مالطة، ونقل باي الغرب مقره من معسكر إلى وهران ، ولكن الأسبان ظلوا يحاولون حتى نجحوا في استرجاع وهران سنة 1732م ، ودارت معارك ما بين 1732-1735م لكن دون جدوى، ورفض الجزائريين عرض مساعدة انجليزية لاسترجاع وهران[3].

بعد أن فقدت الجزائر الأمل في الدعم العثماني، وانشغالها بالحرب ضد الروس شدد الأسطول الجزائري هجماته على السواحل الاسبانية حتى لجأ أهلها إلى الجلاء إلى الدواخل وبلغ عدد الأسرى الأسبان حوالي 10000 أسير[4].

---

1 محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 204.

2 محمد خير الدين فارس ، المرجع السابق ، ص 113،114

3 Gammont .op .cit .p293.

4 محمد خير الدين فارس ، المرجع ، السابق ، ص 115

وجهت اسبانيا في سنة 1775م حملة كبيرة ضد الجزائر تتألف من 400 سفينة و25ألف جندي، إلا أن المقاومة كانت عنيفة وخلال أقل من خمسة ساعات، فقد الأسبان 180 ضابط 2088 جنديا بين قتيل وجريح ، وضل صدى الفشل الاسباني في الجزائر وكل إفريقيا الشمالية، وتغنى به الشعراء، وضلت شائعة حتى أواخر القرن 19م [1].

وأما هذا الوضع الاسباني قررت التقرب من الجزائر بالهدايا ، لكنها لم تثمر ورفض الداي عروض الصلح، ثم حاول الملك الاسباني شارل الثالث تكوين حلف مع البرتغال والامارات الايطالية لكنه فشل ، وأملت اسبانيا بعد انتصارها على الانجليز وبوساطة السلطان أن تتساهل الجزائر معها في موضوع الصلح ، لكن الداي رفض وظل متمسكا بالرفض ، فأرسلت إسبانيا أسطولا سنة 1783م قصف الجزائر لكن دون جدوى ، وكانت أخر محاولة عسكرية قام بها الأسبان سنة 1784م ، ضمت أسطولا ضخما اشتركت فيه نابولي ومالطا والبرتغال وباركه البابا، ولكن السفن الجزائرية تصدت للأسطول الاسباني في عرض البحر، وأحبطت الهجوم[2].

وقد نجح وفد اسباني في سنة 1785م لتحقيق الصلح بمساعي فرنسية ، وبعد سنة من المفاوضات وقع الصلح، الذي فرض على اسبانيا مبلغا كبيرا من المال، وتم الاتفاق على إخلاء وهران والمرسى الكبير، وتم الإجلاء سنة 1792م، وكلف هذا الاتفاق الأسبان الكثير، لأنه فرض عليهم شرطا مخزيا، وهو أن يقوموا بأنفسهم بنقل مفاتيح وهران إلى اسطنبول مع جرتين من ماء منبع وهران[3].

---

1 محمد خير الدين فارس ، المرجع ، السابق ، ص 115.

2 محمد خير الدين فارس ، المرجع السابق ، ص 116،117، وانظر عمارة عمورة ، المرجع السابق ، ص 101

3 Gammont . op.cit .p 344.

للمزيد حول الحروب الاسبانية والصلح أنظر أيضا: أحمد توفيق المدني، **مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م، ص 31-34.

ويقول محمد مبارك الميلي في كتابه تاريخ الجزائر القديم والحديث الجزء الثالث حول تحرير مدينة وهران ما نصه: " يمكن القول أن مدينة وهران كان محكوم عليها بالسقوط من يوم هزيمة الاسبان في مستغانم – سنة 1558م – ، ومن أجل هذا يمكن القول بان عدم وجود تصميم لدى السلطة المركزية على تطهير وهران، هو وحده الذي ضمن للقاعدة الاسبانية البقاء طيلة هذه المدة، ولذلك ما ان انعقدت النية على تنظيف وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الأجنبي حتى كللت المحاولة بالنجاح"[1].

1 محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص204.

المحاضرة:8 ـ العلاقات الجزائرية مع الانجليز، فرنسا

4 ـ العلاقات الجزائرية الانجليزية :

حصل تجار انجليز من السلطان العثماني أحمد في سنة 1580 على امتيازات مشابهة للامتيازات الفرنسية ، وقد ساعدهم في ذلك عداؤهم للإسبان، وصار للإنجليز قناصل في أهم ثغور المشرق وفي الجزائر، ومنذ أواخر القرن 16م كانت السفن الانجليزية، ولاسيما سفن القراصنة تجد ترحيبا في ميناء الجزائر، وبصورة عامة كانت علاقات انجلترا بالجزائر أفضل من علاقاتها بالدول الأخرى ، إن لم تخل من بعض الاحتكاك بين سفن الدولتين[1].

وقد حاول الانجليز الهجوم على الجزائر سنة 1669م لكن المدفعية نجحت في ردهم على أعقابهم، لكن ذلك لم يمنع الانجليز من مواصلة الحرب في البحر ضد المراكب الجزائرية، مثلما فعل الهولنديون وفرسان مالطة وصقلية. وقد كثرت الهجومات على المراكب الجزائرية، والحق بها خسائر متعددة إلى درجة ان سكان مدينة الجزائر أصبحوا يخشون من هجوم أجنبي، ففي 9 مارس 1671م عاد الانجليز إلى مهاجمة ميناء بجاية ، وأضرموا النار في 12 مركب جزائري، كما هاجموا ميناء الجزائر في شهر جويلية من نفس السنة وأضرموا النار في ثلاث بواخر[2].

وازدادت العلاقات الانجليزية الجزائرية تحسنا في القرن 18م إثر التفوق البحري الانجليزي واحتلال الانجليز جبل طارق، واستطاعت سنة 1807م أن تحل محل الفرنسيين في المراكز الفرنسية في الجزائر[3].

---

1 محمد خير دين فارس المرجع السابق ، ص 142 .

2 محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص177.

3 محمد خير دين فارس المرجع السابق ، ص 142 .

ولكـن العلاقـات الانجليزيــة الجزائريــة مـرت بأزمــة خطيـرة عقـب انتهـاء الحـروب النابليونية، وتتحمل انجلترا المسؤولية الأولى في هذا التطور ، ذلك أنها بعد أن أصبحت القوة البحريـة الأولـى فـي المتوسـط بعـد هزيمـة فرنسـا، وحصـولها علـى الجـزر البونيـة ، إضـافة إلـى مراكزها جبل طـارق ومالطـة ، قد تزعمت الحملـة المعاديـة للجزائر فـي مؤتمر فينيا 1815م، الذي يؤكد علـى تحريم القرصـنة والاسترقاق، وفـي سنة 1816م بعد تأكد الانجليز من تفوقهم فـي المتوسـط، وجهوا قوة بحريـة كبيرة قصـفت الجزائر، وألحقت بها أضرار فادحة أجبرت الداي على تحرير الأسرى المسجونين والوعد بإلغاء الاسترقاق [1].

وواصـلت انجلتـرا حملتهـا المعاديــة فــي مـؤتمر لنـدن 1816م ومـؤتمر أكـس لاشـبيل 1818م، الذي وجه تحذيرا للجزائر لوقف القرصنة وتهديدها بتأليف الحلف أوربـي ضـدها، وفـي سنة 1819م كانت آخـر المحـاولات الدوليـة ضـد الجزائر ، وعـادت كل دولـة تسوى مشاكلها منفردة [2].

وحدث سنة 1824م عدم امتثـال القنصـل الانجليزي لأوامـر الداي، حيث قـام القنصـل الإنجليزي بحمايـة القبائل المتمردة، فأجبره الداي علـى مغادرة الجزائر فـي أوائل 1824م، فوجهت انجلترا أسطولا إلى الجزائر مطالبة بتعويض وأعادة القنصل، ودفـع غرامـة ، وحق رفع الراية الانجليزية في الجزائر ، ولم يكن القصـف الانجليزي مجديا، وانسحب الأسطول دون نتيجة [3].

---

1 نفسـه ، ص 144،143، وعمـار عمـورة ، المرجـع السـابق ، ص103،102، للمزيـد أنظـر ولـيم سبنسـر ، المرجـع السابق ص 191- 195

2 محمد خير الدين فارس ، المرجع السابق ، ص 144، 145

3 نفسه ،ص 146.

5 ـ العلاقات الجزائرية الفرنسية :

قامت العلاقات بين الجزائر وأروبا عامة وبينهما وبين فرنسا بصف خاصة لمعالجة عدة موضوعات ناجمة عن نشاط القرصنة وافتكاك الأسرى والتجارة.

تميز القرن 16م بالتعاون التركي الجزائري الفرنسي في مجال القرصنة ، وقد أدى الأسطول الجزائري بصفة خاصة خدمات حتى لفرنسا إبان صراعها المرير ضد إمبراطورية شارلكان، ولكن استقلال الجزائر الفعلي عن الدولة العثمانية 1711م، حرر الجزائر من الارتباط بالسياسة العثمانية، وأطلق يدها في البحر المتوسط ، وتكرر اصطدام بين السفن الجزائرية والفرنسية، مما أدى إلى اتصالات دبلوماسية مباشرة بين فرنسا والجزائر، وقيام حالات الحرب بينهما [1]

ويسجل دخول الجزائر في إطار الدولة العثمانية بداية من العهد الجديد، فقد قام تعاون فرنسي تركي أشبه بالتحالف سنة 1535م ، الذي استمر طيلة عهد البايلربايات ، وحصول فرنسا على امتيازات خاصة على الشواطئ الجزائرية الشرقية تتعلق بالتجارة واحتكار صيد المرجان ، ولكن الحادث الذي كان له أثر حاسم في العلاقات الجزائرية الفرنسية، كان التعاون العثماني الفرنسي ضد شارلكان ، وتكونت شركة المرجان على يد الأخوان لنش من تجار مرسيليا، وتأثرت العلاقات الجزائرية بمسلك شركة لنش، والتي كانت تتصرف كأنها في بلد محتل مخالفة للاتفاقيات، فقد أرادوا تحويل شركتهم إلى حصن وقلعة عسكرية لحماية تجارتهم من غارات القبائل ، فأمرت حكومة الداي بتدميرها سنة 1604 وإلغاء الامتياز[2].

1 محمد خير الدين فارس ، المرجع السابق، ص 118.

2 محمد خير الدين فارس ، المرجع السابق ، ص 121- 124.

وتشير الوثائق إلى أنه منذ 1609م وخلال ثماني سنوات توسع وتأزم الخلاف بسبب القرصنة البحرية ، وتكبدت التجارة الفرنسية خسائر فادحة ، ولم تعد السفن الفرنسية تجرأ على مغادرة موانئ الجنوب، وتعطلت من جراء ذلك تجارة المشرق [1].

وتم توقيع الصلح الأبدي في سنة 1628م في اجتماع رسمي، بعد أن أمر الملك الفرنسي بتحرير الأسرى الجزائريين وإعادة المدافع البرونزية إلى الجزائر وينص هذا الاتفاق على احتكار التجارة وصيد المرجان في منطقة الامتياز السابقة، ويجوز لسفن الشركة الملاحة دون ترخيص، وسمح للشركة بإعادة بناء المراكز المهدمة، ولا يمكن تحويلها إلى مركز عسكري . لكن الفرنسيين لم يتقيدوا بشرط الاتفاق وأرادوا للمرة الثانية تحويلها إلى مركز عسكري للتجسس، فهذا زاد من مخاوف الجزائريين ، فقرر الديوان تهديمه سنة 1637م ، ليتجدد الاتفاق سنة 1640م ، ويدل هذا الاتفاق على رغبة الجزائريين بالتساهل والمصالحة، ولكن مع ذلك لم يضع حدا للمشاكل [2].

لكن في عهد لويس الرابع عشر الذي اتبع سياسة القوة مع شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة، ففي سنة 1663م شنت فرنسا حملة عسكرية للاستيلاء على مدينة الجزائر، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، فنظم حملة أخرى انطلقت من ميناء تولون يوم 23 جويلية 1664م تحتوي على 83 سفينة و8000 عسكري، ونزلت بجيجل لكن سكانها والأتراك أجبروهم على الرحيل بعد معركة دموية خسرت فيها فرنسا العديد من بواخرها وجنودها ، فكرر الملك لويس الرابع العشر عام 1665م هجوما أخر فاشلا على كل من مدن شرشال والقل وجيجل، ولم يعد السلم بين الدولتين إلا بإبرام اتفاقية جديدة مع فرنسا سنة 1666م [3].

---

1 Grammont .op .cit, p160,

2 محمد خير الدين فارس ، المرجع السابق، ص 125-127

3 عمار عمورة ، المرجع السابق ص 99.

وقاد في 12 جويلية 1682م الأميرال الفرنسي دوكين حملة عسكرية قوامها 30 سفينة حربية لمهاجمة شرشال ومدينة الجزائر، وقد كان هذا الهجوم مثار سخرية الجزائريين ، إذ ان المصاريف التي كلفها لم تكن تتلاءم مع النتيجة التي كانت عبارة عن صفر، فكانت هذه المحاولة كغيرها باءت بالفشل[1] .

وقد أراد الفرنسيون ان يغسلوا هذه السخرية، فأعادوا دوكين من جديد لمهاجمة الجزائر وأمروه بتدميرها عن آخرها، فتوجه دوكين على رأس 43 باخرة حربية، ووصل أمام العاصمة في 18 جوان وأرسل إلى الداي بابا حسن يامره باطلاق جميع الأسرى، فلم يتلقى أي رد وجواب عن هذا الاتذار، وشرع في قذف المدينة بقنابل مدفعيته يوم 26 جوان ، وبعد محادثات تمهيدية عقدت هدنة لمدة 24 ساعة، وفي هذه الأثناء رجحت كفة انصار الحرب ضد الجزائر، فأرسل الداي حسين ميزو مورتو ينذر دوكين بأن الاستمرار في الحرب سيعرض المسيحيين الموجودين في الجزائر لأشنع ميتة وتم ذلك في 23 جويلية 1683م[2].

وبعد مفاوضات دامت عشرون يوما أبرمت الجزائر معاهدة سلم مع فرنسا لمدة مائة سنة، وعلى إثرها ساد العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 18م هدوء نسبي ، غير أن فرنسا نقضت المعاهدة عام 1776م بسبب نشوب معركة بين السفن الفرنسية والجزائرية، وقامت فرنسا بقنبلة الجزائر، وفي النهاية وقع الصلح بين الطرفين، وأقتنعت فرنسا أن الخصومات في نظرهم تضر التجارة أكثر مما تضرها القرصنة، وبسبب هذه السياسة تحسنت العلاقات وازدهرت التجارة الفرنسية خلال القرن 18م [3].

ولما دخلت الإمبراطورية العثمانية في حرب ضد فرنسا في عام 1801م، بسبب احتلالها لمصر، وشاركت القوات الجزائرية فيها، رغم روابط الصداقة المتينة التي كانت

---

1 محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 187.

2 محمد مبارك الميلي ، المرجع السابق، ص187، 188.

3 نفسه ، ص 100 ، ومحمد خير الدين فارس ، المرجع السابق ، ص ، 134، 133

تربط الجزائر بفرنسا ، ولكن سرعان ما رجعت العلاقات إلى طبيعتها سنة 1802م، وذلك بسبب ميول الجزائر في علاقاتها مع فرنسا على حساب الدول الأوروبية الأخرى وخاصة منافستها انجلترا، كما تحصلت فرنسا على امتيازات كبيرة في الجزائر خاصة في ميدان استغلال المرجان بالقالة. وفي هذه الفترة ظهر نفوذ شخصين يهوديين وهما بوشناق وبوخريص، قاموا بدور البنوك في الجزائر وسيطروا عليها، وأمتد نفوذهما إلى القرارات السياسية والاقتصادية ، كما دخلت الجزائر في مرحلة اضطرابات وثورات داخلية بسبب ميول الداي لفرنسا [1].

أصبحت النوايا الاستعمارية الأوروبية في بدايات القرن 19م تتجلى في الأفق فقد أختل ميزان القوى لصالح أروبا ، وكانت تعقد المؤتمرات منها مؤتمر فينيا 1815م، ومؤتمر أكس لاشبيل 1818م، التي تطالب و تهدد بوضع حد للقرصنة واعتبروا أي مساس بالبواخر التجارية التابعة لهذه الدول المتحالفة، سيؤدي إلى رد فعل سريع، بعدها دخلت الجزائر في مرحلة الضعف والانحطاط، و خاصة بعد تحطم أسطولها في معركة نافرين بسواحل اليونان يوم 20 أكتوبر 1827م، وفقدت هي والإمبراطورية العثمانية هيبتها و قوتها فتكالب عليها الدول الاروبية ، وكانت نهاية الوجود العثماني التركي في الجزائر و احتلالها على يد فرنسا 1830م في عهد الداي حسين بعد حوالي 3 قرون من الوجود العثماني في الجزائر [2].

1 عمار عمورة المرجع السابق ، ص 102، وانظر للمزيد حول ديون اليهوديات والديون الفرنسية أنظر وليم سبنسر ، المرجع السابق ص 2018 – 2019

2 نفسه ، ص 103.

المحاضرة: 9 ـ الأوضاع الإدارية للجزائر خلال العهد العثماني

1 ـ الأجهزة الإدارية: كانت تتمثل في:

ـ الداي : هو رئيس الدولة (الحاكم الأعلى)، وهو القائد العام للجيش في البلاد وبصفته المسؤول الاول عن سياسة الجزائر، فقد كان يمارس كل صلاحيات رئيس السلطة السياسية المتمثلة في تطبيق القوانين المدنية والعسكرية ، والمتمثلة في: توقيع المعاهدات، استقبال السفراء المعتمدين لدى الجزائر، اختيار وزراءه وحكام المقاطعات أو الولايات، والاشراف بنفسه على مراقبة إرادات الدولة وخزينتها[1].

يتم انتخاب الداي عادة من طرف أعضاء الديوان العالي الذي يتكون من رؤساء الوحدات العسكرية وبعض كبار المسؤولين في الدولة، وقد كان عدد أعضاء الديوان العالي يتراوح بين 80و 300عضو، وحين يختلف أعضاء الديوان العالي يرفعون العلم الأحمر، وإذا اتفقوا على انتخاب داي جديد فإنهم يرفعون العلم الأخضر[2].

وقد جرت العادة أن يتفرغ الداي للحكم بمجرد انتخابه وتنصيبه في عمله في قصر الجنينة ولا يسمح له بالخروج من القصر إلا مرة واحدة في الاسبوع حيث يذهب إلى بيته لقضاء أمسية وليلة واحدة مع عائلته وأولاده ثم يعود إلى القصر لاستئناف عمله، وجرت العادة أن يخصص كل صباح لاستقبال المواطنين والنظر في الشكاوي والمظالم التي تعرض عليه لكي يفصل فيها بالعدل والإنصاف، ثم يتفرغ في كل مساء لتسيير شؤون الدولة والاجتماع بوزرائه واستقبال رؤساء البعثات الأجنبية المعتمدين بالجزائر[3].

---

1 عمار بوحوش ، المرجع السابق، ص 64.

2 محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص249.

3 نفسه.

ويلاحظ هنا أن الداي كان يتقاضى راتبه على أساس رتبته العسكرية في الجيش بصفته أغا ولهذا تقرر أن يحصل على أموال إضافية ومساعدات تتمثل في هداي ثمينة يتلقاها من البايت الثلاث لتغطية نفقاته ورواتب حراسه، كما كان يحصل الداي على هداي ثمينة من كبار موظفي الدولة عند تنصيبهم في وظائفهم، ومن القناصل الأجانب الذين يعينون بالجزائر ونسبة محدودة من غنائم الغزوات البحرية، وأكثر من ذلك فإن الداي كان يتولى بنفسه الإشراف على تسيير مؤسسات تجارية وذلك بقصد جلب أموال لخزينة الدولة،وفي حالة وفاته أو عزله فإن هذه الأموال التي يحصل عليها الداي تحول إلى خزينة الدولة[1].

ـ الديوان (مجلس الوزراء): كان ديوان الداي هو الساعد الايمن لرئيس الدولة، لأنه يظم الشخصيات المقربة اليه، والتي يعتمد عليها في تنفيذ سياسة الحكومة، والديوان في الحقيقة هو بمثابة مجلس الوزراء في يومنا هذا، وقد اشتهر باجتماعاته اليومية لدراسة المسائل العادية المسجلة في جدول أعمال الديوان . أما اجتماع يوم السبت فكان يخصص لدراسة المسائل ذات الأهمية، وحسب الدراسات فإن هذا الديوان يتكون من 35 شخصية مدنية عسكرية تشرف على تسير شؤون الدولة في المسائل المالية والعدالة والامن، بالإضافة الى القاضي والمفتي وغيرها من الشخصيات المرموقة، التي كانت تعمل في إطار الديوان[2].

---

1 محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص250.

2 عمار بوحوش ، المرجع السابق، ص 65، وجمال قنان، **نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث، 1500-1830** ، وزارة المجاهد، ص 135.

وإضافة إلى الداي كانت الحكومة تظم بعض الموظفين الساميين، الذين كانت لهم السلطة المطلقة في تسيير شؤون الإيالة، وكانوا يشكلون مجلس الحكومة (الديوان الصغير) وهم:[1]

ـ **الخزناجي** : وهو مختص بالإشراف على الخزينة (المداخيل والمصاريف) والشؤون المالية، وهو الوحيد الذي يحتفظ بمفاتيح الخزينة العامة.

ـ **الأغا** : وهو قائد الجيش البري، ، بما في ذلك فرق الانكشارية، ووحدات الخيالة العرب، والنتطوعون.

ـ **خوجة الخيل:** هو المشرف على املاك الدولة، حيث يعتبر المسؤول الاول عن جمع الضرائب، وصيانة املاك الدولة وإعادة استثمارها، والاتصال بالقبائل عند تعاملها مع الحكومة.

ـ **وكيل الخرج** : يراقب النشاط البحري، وأعمال الترسانة البحرية، وتوزيع غنائم البحر وكل ماله علاقة بالبحر كالجمارك وصناعة السفن وتحصين الابراج ولأسرى، ويشرف على الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية (وزير البحرية).

ـ **البيت مالجي** : وهو المسؤول عن تسجيل العقود والمواريث، التي بدون وريث، ولم يكن يسمح بدفن اي انسان دون موافقته منعا للتلاعب. وعند وفاة المسؤول عن بيت المالجي فإن جميع امواله والثروات المتوفرة لديه تذهب إلى خزينة الدولة.

ـ **الباش كاتب** : وهو بمثابة أمين عام ، فقد كان يكتب التقارير بالافتتاحية التالية: "نحن باشا الديوان جند الجزائر المنيع".

1 عمار بوحوش، المرجع السابق، ص65، 66. و محمد خير الدين فارس ، المرجع السابق، ص 72.

وبالإضافة إلى كبار هؤلاء المسؤولين في الدولة الذين يعتمد عليهم الداي في تنفيذ سياسته بالبلاد، كان هناك موظفون سامون يقومون بأعمال محددة تدل على حسن التنظيم السياسي الموجود في الدولة الجزائرية، ومن جملة الوظائف المحددة لهؤلاء المسؤولين نخص بالذكر[1]:

الكاتب الأول: المسؤول عن المراسلات الخارجية والداخلية للداي، والمشرف على ثلاث سجلات خاصة بأموال الدولة، رواتب الجنود رواتب رجال الجمارك وكل سجل يمسكه كاتب خاص.

الكاتب الثاني: الذي يتمثل دوره في متابعة ومراقبة السجل الخاص بالجنود وهذا السجل عبارة عن نسخة ثانية من السجل الموجود لدى الكاتب الأول.

الكاتب الثالث: ويتمثل دوره في متابعة ومراقبة كل المعلومات الموجودة بسجل أموال الدولة وذلك انطلاقاً من النسخة الثانية التي يسلمها له الكاتب الأول.

الكاتب الرابع: ويتمثل دوره في ضبط السجل الثاني من إيرادات الدولة من الجمارك الذي يسلمه له الكاتب الأول.

رئيس التشريفات أو البروتوكول: وهو بمثابة مدير البلاط وينحصر دوره في تسهيل عمليات الاتصال بين الداي والشخصيات التي يستقبلها، وفي العادة يتميز رئيس التشريفات بمعرفة اللغات الأجنبية بالإضافة إلى العربية والتركية.

الكاخيا: وهو المكلف بحراسة خزينة الدولة والاحتفاظ بمفاتيحها.

الخزنادار: وهو الشخص المسؤول عن خزن المال والاحتفاظ به إلى أن يتلقى الأمر بإنفاقه.

الحكيم باشي: والذي هو رئيس أطباء قصر الداي.

الشاوش: وهو الحاجب أو البواب الذي يتولى مراقبة الدخول والخروج إلى قصر الداي.

---

1 محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص252. للمزيد ينظر: ،عائشة غطاس، المرجع السابق، ص112- 135.

2 ـ التقسم الاداري :[1]

ارتكزت الادارة العثمانية في الجزائر على أربعة أقسام (بايليكات) وهي :

ـ **دار السلطان** : مقرها مدينة الجزائر، وهي تمد من دلس شرقا الى شرشال غربا وساحل البحر شمالا الى سفوح الأطلس البليدي جنوبا، وتظم اقليمي: الساحل ومتيجة، وتخضع مباشرة الى رؤساء السلطة التركية، وتنقسم الى أوطان يحكمها قواد تحت إشراف آغا العرب قائد الجيش، وكل وطن يتكون من دوائر.

وقد شكلت مدينة الجزائر اهم مركز اداري على مستوى كامل الايالة، حيث تمركزت به المؤسسات الحكومية والسلطات العليا للبلاد، واختار العثمانيون مدينة الجزائر عاصمة للقطر الجزائري ، وقد بدا نفوذ المدينة يمتد إلى أطراف البلاد بامتداد النفوذ التركي، الى ان أصبحت سيدة المدن الجزائرية من الحدود المغربية الى الحدود التونسية. وقد كانت مدينة الجزائر وضواحيها تشكل ما يعرف بدار السلطان، باعتبارها مقر الحكم ومركز السلطة، ويعود ظهور النواة الأولى لهذا البايليك الى عام 1516م، وذلك عندما استنجد سالم التومي واعيان مدينة الجزائر بالأخوين عروج وخير الدين، لتحرير صخرة البنيون من السيطرة الاسبانية.

ـ **بايليك الشرق** : وعاصمتها قسنطينة، وقد أسست في السنة الاخيرة من حكم الحسن باشا 1567م ، وقد حكم الاتراك أغلب نواحيه الجبلية والصحراوية عن طريق الرؤساء المحليين .

كان تأخر تعيين عاصمة بايليك الشرق، يشهد فعلا عن عدم استقرار التواجد العثماني بمدينة قسنطينة، وان المدينة كانت تعيش في مرحلة أخذ ورد بين العثمانيين والحفصيين. وقد كان الشرق الجزائري مقسما إلى عدة ألوية منها قائد لواء قسنطينة ، وقائد لواء بسكرة، وكان أول باي حكم بايليك قسنطينة سنة 1574م.

---

1 حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص146، 147. وللمزيد أنظر: ربيعة بهلول ، المرجع السابق، ص57– 95.

ـ **بايليك الغرب**[1] : تغيرت عاصمتها أكثر من مرة، إذ تأسست سنة 1563م ، ونقلت عاصمتها من مازونة الى معسكر سنة 1710م ، ثم أصبحت وهران عاصمة له بعد تحريرها من الاحتلال الاسباني 1792م، وكانت لها صبغة حربية نظرا لتوتر العلاقات بين الاتراك والمغاربة ، وبقاء الاسبان زهاء ثلاثة قرون.

وقد كان بايليك الغرب في البداية يتولاه بايان اثنان، أحدهم يستقر بمدينة مازونة والآخر بمدينة تلمسان، وفي عام 1706م وحد القسمين وأصبح يعين عليهما باي واحد.

ـ **بايليك التيطري**[2] : كان أصغر البايليكات ومقرها المدية، تأسس سنة 1540م وكانت الاكثر ارتباطا بالسلطة المركزية، ووضع بجانب الباي حاكم يتصل مباشرة بالجزائر، ويهتم بأمور القيادات الأربعة التي كان يتكون منها.

يعد بايليك التيطري من المقاطعات الأولى التي دخلت تحت الادارة العثمانية، كما انه أول بايليك ظهر بعد دار السلطان.

ـ موظفو البايليك:

ـ **الباي:** النقطة التي ينبغي التأكيد عليها، هي أن الباي كان يعتبر من كبار موظفي الدولة، والداي هو الذي أختاره من بين الشخصيات المرموقة في المجتمع الجزائري التي تلتزم بدفع رسوم مرتفعة، وتقديم هدايا قيمة، وفي مستوى هذا المنصب، وفي حقيقة الأمر كان الباي يتصرف بحرية تامة في تسيير ولايته والداي لا يراقبه ، وكل ما هو مطلوب من الباي هو إظهار الولاء للداي ، وارسال الضرائب السنوية مع نائبه (الخليفة) الى الداي في وقتها المحدد ، وعندما تنتهي فترة تعينه، والتي تدوم ثلاثة سنوات، يتعين على الباي ان يحضر الى الجزائر، ويحضر معه جميع انواع الهدايا، التي تساعده على استمراره في عمله، ويستخلص من بعض الدراسات أن الداي كان يعتمد على البايات في

1 حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص146، 147. وللمزيد أنظر: ربيعة بهلول ، المرجع السابق، ص57– 95.

2 حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص146، 147. وللمزيد أنظر: ربيعة بهلول ، المرجع السابق، ص57– 95.

جمع المال الضروري لتغطية نفقاته ودفع رواتب حراسه، وقد كان البايات الثلاثة يدفعون للداي 3000 قرش كل سنة [1].

وقد كان الباي يستعين بموظفين ساميين في إدارته وهم [2]:

ـ **الخليفة** : الذي يعتبر نائبا للباي ، وهو الذي يحمل الضرائب السنوية للداي، ويمثل الباي في بعض المناسبات .

ـ **قائد الدار** : هو المسؤول عن حراسة المدينة والعناية بها ودفع رواتب الجنود.

ـ **آغا الدائرة** : هو قائد الفرسان من العرب التابعين لدولة.

ـ **الباشكاتب** : مسؤولا عن كتابة رسائل الباي ومسك دفاتر المالية.

ـ **الباشا سيار** : الذي يقوم بمهمة نقل الرسائل بين الباي والداي.

ـ **الباش سايس** : الذي يتولى العناية بخيول البايليك وتربيتها.

كما ينقسم كل بايليك الى جملة من الاوطان يضم كل واحد منها في الغالب عددا من القبائل، ويحكمها "قياد" يجمعون بين أديهم السلط المدنية والعسكرية والقضائية، ويساعدهم في الحكم رؤساء القبائل والمشايخ، الذين يعتمدون بدورهم على رؤساء الدواوير، وتتمثل مسؤولية هؤلاء "القياد " بالخصوص في السهر على توزيع الأراضي وأحيائها، بإعانة المشايخ، ويعين الباي القياد باقتراح من الأغا أو غيره من كبار الموظفين، الذين يرجعون إليهم بالنظر، فيتسلمون طابعا وبرنسا أحمر، وكانوا كلهم أتراكا، بينما ينتسب المشايخ إلى أكبر قبائل (الوطن) شأنا، ويتفق أحيانا أن يتركب الوطن من قبيلة كبرى واحدة، فيصبح شيخها قائدا عليها[3].

---

1 عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 68، وجمال قنان، المرجع السابق، ص 134.

2 عمار بوحوش ، المرجع السابق، 69.

3 شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 377، 387.

إذن لم تكن سلطة الأتراك تشمل في الواقع كل القبائل في الجزائر، فهناك قبائل قوية بقيت تحتفظ بقدر كبير من الاستقلال الذاتي، وبصفة عامة لم تكن السلطة التركية الفعلية تشمل سوى سدس الجزائر، ولكي يتخطى الاتراك خطر هذه القبائل كانوا يتبعون معها سياسة فرق تس،د فيثيرون المنافسات بينها[1].

وقد أدى بالبعض الأخر الى نفي، أن تكون للعثمانيين سياسة إدارية واضحة المعالم في الدواخل، حينما روجوا فكرة: " لقد جاء العثمانيون من البحر وظلوا ينظرون الي البحر" [2].

1 محمد خير الدين فارس، المرجع السابق، ص 75.

2 عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 138.

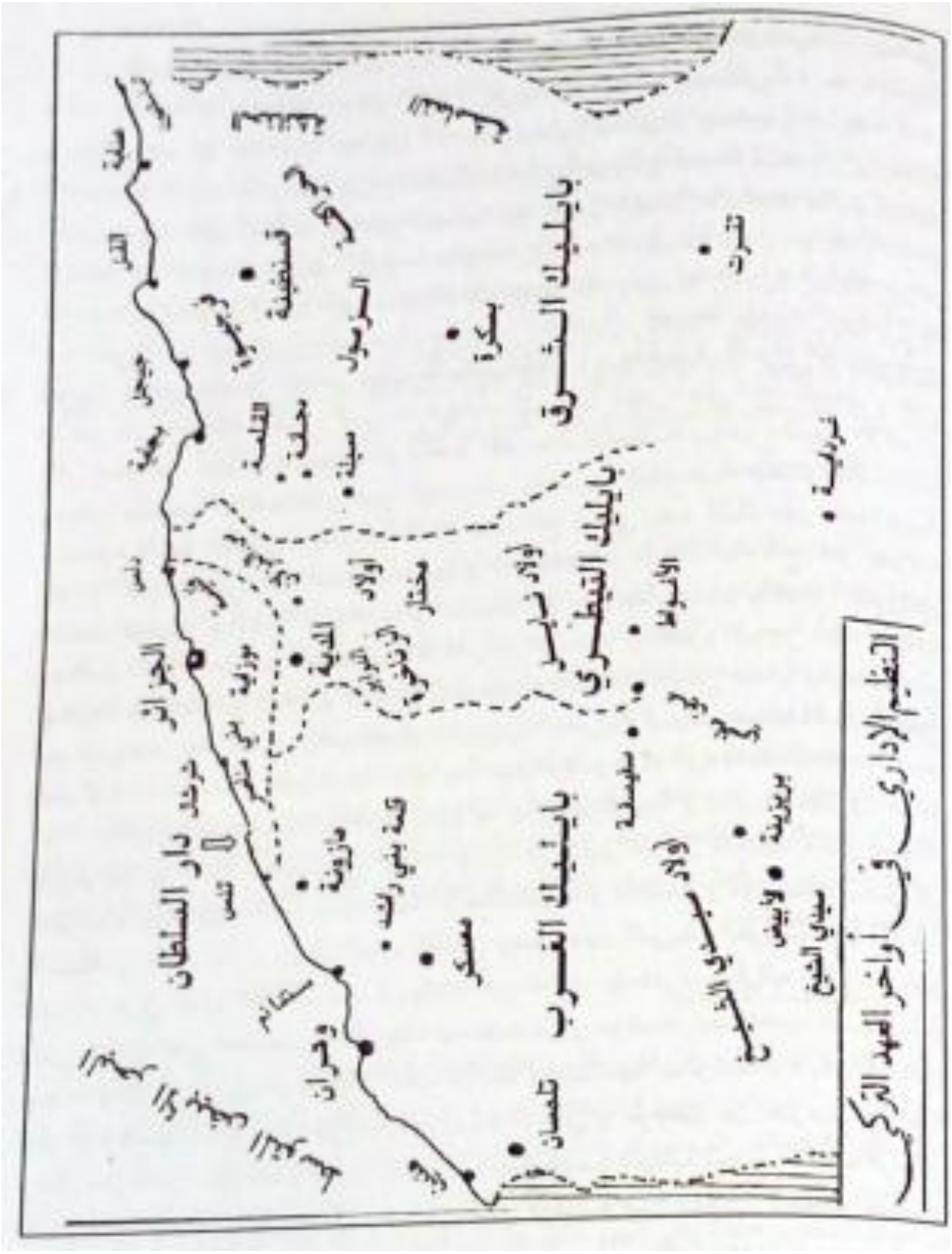

صالح عباد ، المرجع السابق، ص283.

المحاضرة: 10 ـ الواقع الاقتصادي

لم يكن للدولة العثمانية أي إسهام في النشاط الاقتصادي للجزائر ، فرغم اهتمام الجزائر بالبحر، لا نجد للدولة اثر في إنشاء الموانئ الصالحة للتجارة، وكان ميناء الجزائر هو الميناء الوحيد الصالح للتجارة، في حين كانت باقي الموانئ مهملة، فقد بدأ اهتمام الحكومة بميناء الجزائر منذ أيام خير الدين، ولكن هذا الاهتمام لم يكن بقصد التجارة بل لإيجاد مرسى آمن للسفن القرصنة [1].

1 ـ الزراعة :

رغم أن الزراعة كانت المورد الأساسي لمعيشة غالبية السكان، إلا أنها تميزت بالبساطة والبدائية ، ولم تتدخل الدولة العثمانية لتحسينها ولم تساهم في الوقاية من الأضرار الطبيعية أو الآفات الزراعية، التي كانت تتعرض لها البلاد بصورة مستمرة، أو في التعويض أو المشاركة في تحمل الأضرار الناجمة عن الكوارث الطبيعية والأوبئة والمجاعات المتتالية ، وكان الإسهام الوحيد للدولة ، قد احتكرت شراء المحاصيل وبيعها كما بالغت في فرض الضرائب وجبايتها [2].

وقد عبر عن هذه الظروف الصعبة، التي كان يعيشها الفلاح الجزائري ، محمد الصالح العنتري في كتابه سنين القحط والمسبغة بقوله: " بحيث أنك لا تجد في ذلك الزمان ولا في الذي قبله وبعده من يهتم بأمر الزرع أبدا من أجل بخس قيمته "، ثم عقب على ذلك بقوله: "كانت الحراثة زمن الترك ضعيفة ، لم تتعلق بها أغراض الناس كوقتنا هذا "[3].

---

1 محمد خير الدين فارس ، المرجع السابق ، ص 98،99 .

2 نفسه ، ص 99، وأنظر أيضا : ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي ، الجزائر في التاريخ ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 54-58 .

3 ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ ، المرجع السابق، ص 55.

أما من حيث الإنتاج الزراعي للايالة الجزائرية ، فقد اختصت كل منطقة بإنتاج نوع من المحاصيل حسب ظروفها الطبيعية والمناخية ، فالحبوب اشتهرت بها معسكر ووهران ومجانة وقسنطينة ، وكانت تعتبر محصولا رئيسا معدا للاستهلاك الداخلي والتصدير الخارجي ، ولذلك عمل البايليك على الاستيلاء على أراضي الحبوب، التي أصبحت من أملاك الدولة بنواحي قسنطينة ووهران، وكانت تغطي حوالي 84 ألف هكتار عشية الاحتلال [1].

بينما ارتبطت زراعة الأشجار المثمرة بالمناطق الجبلية والمدية، وازدهرت البساتين بأراضي الفحوص المحيطة بالمدن الرئيسية مثل وهران ، معسكر ، تلمسان، المدية ، ميلة ، البليدة ، القلعة ، عنابة ، وقسنطينة [2].

أما قبائل الجنوب فاعتمدت على إنتاج التمور وتربية المواشي، وكانت مضطرة إلى المجيء إلى التل بصورة دورية لتبادل صوفها، قطعانها ولحمها، مقابل الحبوب[3]

أما **نظام الأراضي** فهناك عدة أنواع منها :[4]

- أملاك الباي: وتعتبر ملكية خاصة وتضم أحسن الأرضي.
- أراضي البايليك: وهي أراضي تابعة للدولة مباشرة وتسمى بالعزل.
- أراضي العرش: وهي الأراضي التابعة للقبائل غير المتعاونة مع الأتراك وتسمى أيضا الأراضي المشاعة.
- أراضي الوقف : التي حبست للإنفاق على الأعمال الخيرية والمؤسسات الدينية.

---

1 حنفي هلايلي ، المرجع السابق ، ص 153.

2 نفسه.

3 محمد خير الدين فارس ، المرجع السابق ص 107 .

4 ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص51-53. وحنفي هلايلي، المرجع السابق، ص 154 .

ـ أراضي الموات : وهي الأراضي التي تركت بدون استغلال، أو التي كانت غير صالحة للزراعة.

ولم تتحسن الزراعة في العهد العثماني بسبب انعدام الأمن وسياسة الحكومة الضرائبية وسياسة الاحتكار [1].

إلا أن هناك بعض الكتاب يشيدون بازدهار الزراعة للجزائر في العهد العثماني بل وتطورها مثلا في كتاب وليم سبنسر يقول:" وقد صمم الحكم التركي ليس فقط للمحافظة على النظام الاقتصادي الذي كان موجودا ولكن لتقويته أكثر"، وأن الحالة المزدهرة التي كانت عليها الزراعة الجزائرية قبل الاحتلال قد شهد بها كثير من الملاحظين [2].

2 ـ الصناعة :

عرفت البلاد الجزائرية في العهد العثماني نشاطا صناعيا شمل اغلب المهن التقليدية و الحرف اليدوية، التي كانت معروفة في الاقطار الاسلامية و البلاد الاوروبية، وهذا ما يناقض الكتابات الفرنسية القائلة بان الصناعة في الجزائر اثناء العهد العثماني كانت تقتصر على بعض الصناعات البدائية في صنعها و البسيطة في نوعها و التقليدية في اساسها، و الواقع ان المدن الجزائرية كانت تضم العديد من الصناعات، التي يحق لنا وصفها بالتنوع والاتقان والتنظيم، اذ كانت مقسمة على عشرات النقابات المهنية، ففي قسنطينة كانت اكثر من 20 حرفة، و مدينة الجزائر عدد المهن 40 مهنة، ولكل مهنة أمينها مثلا أمين الخياطين ، أمين النجارين ...الخ . كما كانت كل مهنة تختص بشارع او سوق ينسب آليها [3].

و قد عرف النشاط الصناعي مرحلة التقهقر منذ بداية القرن 18 م، و ظل متواضعا لا يتعدى الصناعات المحلية اليدوية وبعض الصناعات التحويلية، وان النقطة الاكثر

---

1 محمد خير الدين فارس ، المرجع السابق ص 6.

2 وليم سبنسر ، المرجع السابق ص 135-134 .

3 ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ ،المرجع السابق ،ص 61، 62

اهمية حول الصناعات المحلية، انها كانت تعتمد على ارضاء متطلبات اسواق المدن و الارياف من المصنوعات اليدوية [1].

ورغم العوائق التي حدت من تطور الصناعة اواخر العهد العثماني، الا انها تميزت في بعض الصناعات منها : صناعة السفن، صناعة الاسلحة ، والصناعات التحويلية ، الصناعات الغذائية ، صناعة الصابون ، صناعة النسيج ، صناعة الجلود، صناعة الشاشية و التطريز، صناعة الحلي والاحجار الكريمة [2].

وقد امتازت صناعة الجزائر بـ :[3]

ـ اعتمدت اساسا على المواد الاولية.

ـ لم يكن هدفها التصدير الخارجي ، فكانت صناعة كمالية ترفيهية في المدن.

ـ كانت صناعة بسيطة وخشنة الاسلوب بالنسبة للأرياف.

3 ـ التجارة :

أ ـ التجارة الداخلية :

كانت الاختلافات بين المناطق من حيث الانتاج الزراعي و الصناعي سببا اساسيا في قيام التجارة الداخلية ، فكانت المبادلات بين الريف و المدينة ، بين المناطق الجبلية و السهلية بين التل و الجنوب، تتم اساسا في الاسواق الاسبوعية و السنوية، و هذه الاسواق تقع اغلبيتها في المناطق الريفية، كما لعبت القبائل الرحالة دورا كبيرا في تنشيط الاسواق السنوية وتبادل منتوجات الصحراء و افريقيا ، وتتمثل المنتوجات اساسا في التمور، الماشية و الاصواف، و اسواق سنوية بين المناطق الجبلية و السهلية ، اضافة الى الاسواق الاسبوعية، التي كانت تنتشر هنا وهناك[4].

---

1 حنفي هلايلي ، المرجع السابق ، ص 157.

2 ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ ،المرجع السابق ،ص 65، 70

3 نفسه ، ص 71.

4 صالح عباد ، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، دار هومة ،الجزائر ،2012، ص 339،340

ب ـ التجارة الخارجية :

ما يميز بداية العهد العثماني في الجزائر هو تقهقر الحركة التجارية، التي حركتها المدن الايطالية و الاسبانية على بعض السواحل الجزائرية ، وحتى في داخل البلاد، ويعود السبب في ذلك الى السيطرة الاسبانية على بعض المواقع في ساحل الجهة الغربية ، وسيطرة الاتراك على باقي البلاد، والنشاط المتزايد للقرصنة ، وكانت التجارة مع افريقيا، قد انحطت منذ القرن 14م بفعل انحراف طرق الذهب نحو مصر ثم سيطرة الدول الاوروبية على سواحل القارة الافريقية، و تحويل طرق التجارة نحو سواحل المحيطين الاطلسي والهندي[1].

و قد تمثلت تجارة الجزائر البرية مع العالم الاسلامي في حركة القوافل، واهمها على الاطلاق قافلة الحج السنوية ، وتتمثل كلها في المنتوجات الفلاحية واستيراد الكماليات او التجهيزات المتعلقة بالجيش و البحرية ، كانت اهم صادرات الجزائر اواخر العهد التركي في الحبوب والاصواف ، الجلود ، الزيوت ، الشموع ، المرجان، ريش النعام و الخضر[2].

وقد كان العائق الاساسي الذي عرقل النشاط التجاري هو الاحتكار الحكومي، فقد كان الديوان اكبر تاجر في الايالة، فله الحق وحده في بيع الحبوب، فهو الذي يحدد السعر، ويحرم بيع المنتوجات للشركات الاجنبية الا بفوائد تتراوح مابين 50% و 60% [3].

وكانت الجزائر تشترط أيضا استخراج رخص خاصة لتصدير الحبوب و الانعام كما كانت حقوق تصدير الجلود و الشمع و الصوف تعطي في شكل امتيازات سنوية لمن يدفع اكثر، و كنتيجة لهذه القيود كانت تظهر على الاقتصاد الجزائري من آن لأخر ظروف غير مواتية في خصوص التوازن التجاري [4].

---

1 صالح عباد، المرجع السابق ، ص 340 .

2 نفسه، ص341 ،342، وللمزيد انظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق ، ص 80،81.

3 حنفي هلايلي ،المرجع السابق ،ص 158،159.

4 وليم سبنسر ،المرجع السابق ،ص 146

وقد استولى اليهود مع بداية القرن 19م على مقاليد التجارة الداخلية و الخارجية للايالة بموافقة الدايات ، فهم وحدهم يشكلون ملة غير اسلامية معترف بها في الدولة العثمانية ، وكانت معرفتهم فوق العادة بقضايا العملة ، فخلال عهد الدايات كان اليهود يستعملون للتعامل في كثير من الأعمال التجارية للدولة، و القيام بالمفاوضات مع التجار الأوروبيين، وهو ما يتطلب معرفة اللغات و المعاملات التجارية للبحر المتوسط، التي كانت تفوق إمكانية حكام الجزائر، ولعب اليهود دور الوسيط حتى بالنسبة للمحاصيل الزراعية، التي يأتون بها بأنفسهم من الأرياف الى المدن [1].

فكانت مؤسسة بكري و بوشناق اليهوديين تحتكر وحدها ثلثي التجارة، وتتحكم في فرض أسعار الشراء و البيع ، فكان لسيطرة اليهود على السوق الداخلية أثار مدمرة [2].

وهكذا يمكن أن تسجل أن الاقتصاد الجزائري خلال العهد العثماني عرف تطورا وازدهارا خلال القرنين 16و 17 ، و بدأ في التراجع و الضعف خلال القرن 18م، و انهياره أوائل القرن 19م، فانتهى باحتلال فرنسا للجزائر 1830م.

1 حنفي هلايلي،المرجع السابق ،ص 161،162

2 محمد خير الدين ،المرجع السابق ،ص 106

المحاضرة: 11 ـ الاوقاف

1 ـ الاوقاف:

تعد الاوقاف من المظاهر الحضارية الاسلامية ، فهي تعبر عن ارادة الخير في الانسان المسلم ، وعن احساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الاسلامي، و قد تطور الوقف في العهد العثماني نتيجة اعتبارات سياسية و اقتصادية ، و يقوم الوقف على مبدا شرعي و على صيغة قضائية ملزمة ، فالقاضي عادة هو الذي يقوم بكتابته بصيغة معينة، وبحضور الواقف و الشهود ، فالوقف اذن وثيقة شرعية يستند عليها و يلتزم باحترامها الواقف و أهله و المستفيدون منه ، و كذلك السلطة، ولكن هذه الوثيقة لم تكن دائما محل احترام، فقد يسئ الوكيل التصرف في الوقف ، وقد تتدخل السلطة و تحول فوائده اليها ، و لذلك كان إهمال الأوقاف مصدر شكوى من المسلمين ، و خاصة رجال الدين [1].

و للوقف نظام داخلي دقيق، الوكيل أو الناظر هو المشرف الرئيسي عليه من تطبيق شروطه و تنميته واستعماله. والباشا (الباي في الأقاليم) هو الذي كان يعين الوكيل بناء على مواصفات معينة، كالأخلاق الفاضلة و النزاهة و العلم والسمعة الطيبة بين الناس ، ومن الممكن ان تظل الوكالة وراثية ، لكن بإمكان الباشا او الباي تنحيته [2].

وقد تميزت الفترة العثمانية بالجزائر بتكاثر الاوقاف و انتشارها في مختلف إنحاء البلاد، ففي سنة 1750م تضاعفت اثنى عشر مرة بنسبة 66% من مجموع الممتلكات

---

1 ابو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ،10ج، ج1500-1830**، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 1998، ص 227،228

2 نفسه، ص 229

الزراعية و العقارية ، فشملت الدكاكين و الفنادق وافران الخبز و السواقي والصهاريج و افران معالجة الجبس [1].

والواقفون في الجزائر لا حصر لهم بجنس او طبقة او مذهب ، ولذلك وجدنا فيهم الرجال و المرأة ، و العثمانيون و الحضر، و الاحناف و المالكية، ولعل الفرق بين واقف و اخر هو النية الحسنة و الثروة [2].

ويستعمل الوقف في اغراض كثيرة منها العناية بالعلم، العلماء، الطلبة، الفقراء، العجزة، اليتامى، و ابناء السبيل، و من اهم اغراضه العناية بالمساجد و المدارس و الزوايا و الاضرحة و انواع الوقف كثيرة وليس من السهل حصرها ، فهناك من يوقف عقارا من ارض او دكان او دار او نحو ذلك ، وبعضهم كان يوقف عينا او بئرا لأبناء السبيل ، ومن يوقف غلة حقل من الحقول او غلة من الاشجار [3].

و الاوقاف نوعان عامة و خاصة، العامة :هي اوقاف بيت المال، الطرقات ، العيون، الأندلسيين، والاشراف ،اما الخاصة كأوقاف الجامع الكبير و المساجد و الزوايا و القباب. وهناك انواع خاصة بالأوقاف للمؤسسات الدينية منها:[4]

ـ مؤسسة اوقاف الحرمين الشريفين :

وهي اوقاف مدينتي مكة و المدينة تعد من اهم المؤسسات من حيث عدد اوقافها و الموارد التي توفرها [5].

---

1 بوسعيد عبد الرحمان ، **الاوقاف و التنمية الاجتماعية و الاقتصادية في الجزائر**، رسالة الماجستير جامعة وهران ،2012،2011، ص29.

2 ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ،ص 332

3 نفسه ، ص 230

4 مؤيد محمود حمد المشهداني ، "اوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518–1830" ، **مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية** ،جامعة تكرت ، مركز صلاح الدين ،مجلد 5،عدد 16،2013،ص432

5 ابو القاسم سعد الله ،المرجع السابق ،ص 238 . و يذكر انها تمثل ثلاثة ارباع الاوقاف .

ان اموال أوقاف الحرمين الشريفين كانت توجه إلى فقراء مكة والمدينة في مطلع كل سنتين، عن طريق مبعوث شريف مكة او بواسطة أمير ركب الحجاز، ولضمان وصول المداخيل إلى الحرمين الشريفين وجدت قوائم مفصلة لأنواعها ترسل باسم داي الجزائر، وتختم بختم الحرمين الشريفين دلالة على وصولها كاملة بعد عودة وفد الحجيج إلى الجزائر العثمانية، وكذلك تقدم الاعانات والمساعدات لأهالي الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر أو المارين بها بعد التأكد من صحة انتسابهم للأماكن المقدسة، وتجدر الاشارة إلى ان عائدات أوقاف الحرمين الشريفين لم تكن لتبعث أو ترسل كلها الى ارض الحجاز، فقد كان الوكلاء ينفقون منها على فقراء العاصمة باستمرار ، حتى ظن أولئك الفقراء مع مرور الوقت أن جزء منها حبس عليهم ، لذلك أكثروا من التشكي عقب الاحتلال ومطالبة الحكومة الفرنسية بالانفاق عليهم منها، بالاضافة الى ذلك كانت تتولى حفظ الأمانات والانفاق على ثلاث مساجد حنفية داخل مدينة الجزائر[1].

ـ مؤسسة اوقاف اهل الاندلس :

وهي تتجاوز 101 وقف تعود فائدتها الى الاسر المنحدرة من اصل اندلسي ، وقد نشأت سنة 1572م من قبل اغنياء الجالية الاندلسية ، الذين كانوا يوقفون الاملاك لإخوانهم اللاجئين الفارين من الاندلس [2].

وقد اتخذ الاندلسيون من مدن إيالة الجزائر مقرا لهم، وتركوا عليها بصمات واضحة، فأحيوا مدينة شرشال ، وعمروا كلا من القليعة والبليدة، وزودوا مدينة الجزائر بالمياه في حين لم تكن تعتمد إلا على الآبار والصهاريج، إضافة إلى هذا النشاط الحضاري، فقد بادر أغنياء الجالية الاندلسية إلى التبرع بأملاكهم لاخوانهم الفقراء، منذ بدايات الهجرات الأندلسية الى السواحل الجزائرية اثر سقوط حواضر الاندلس واصدار قرار الطرد الجماعي 1609م، وقد تعززت مؤسسة أوقاف الاندلس بجامع الاندلس وزاوية الاندلسيين،

1 بوسعيد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 31، 32.

2 مؤيد محمود ،المرجع السابق ،432

كما شكلوا جمعية أندلسية مكونة من ستة أشخاص كلهم من المهاجرين الاندلسيين، وعينوا وكيلا لذلك هو الشيخ "محمد الآبلي، وقد كانوا يتمتعون بمكانة خاصة في المجتمع الجزائري خصوصا عند الاتراك[1]"

ـ مؤسسة سبل الخيرات : تضم جميع المساجد الحنفية و عددها 14 مسجدا [2]. ودعمت مكانتها في الفترة الاخيرة من الحكم العثماني، فأصبحت تحتل المرتبة الثانية بعد مؤسسة الحرمين الشريفين من حيث وفرة مداخيلها، و نظرا لانتسابها الى المذهب الحنفي من جهة، و لغنى الطائفة التركية و الكراغلة، التي كانت توقف املاكها لفائدة المساجد الحنفية [3].

وتعتبر مؤسسة سبل الخيرات الحنفية، مؤسسة شبه رسمية فهي التي كانت تشرف على جميع الاوقاف المتعلقة بخدمة المذهب الحنفي من زوايا ومدارس ومساجد وموظفين وفقراء، وكانت تديرها جماعة يعينها الباشا نفسه. وكانت مؤسسة سبل الخيرات تقبل الاوقاف الموجهة لخدمة الفقراء والعلماء والطلبة والعجزة كما كانت تقوم بانشاء المؤسسات الجديدة لنفس الغرض، وتشرف عليها وتوجهها وتنميها، ذلك أن كثيرا من الواقفين كانوا يعهدون بوقفهم إلى دار سبل الخيرات[4].

وقد أخذت مؤسسة سبل الخيرات مهمة الاشراف على المساجد التي كانت تتبع المذهب الحنفي في الجزائر، لا سيما الجامع الجديد الذي بني سنة 1660م بغن من الجيش الانكشاري وبأموال مؤسسة سبل الخيرات. إضافة الى عدة مساجد أخرى تكفلت المؤسسة بالاشراف عليها ورعايتها منها : جامع القايد، جامع السيدة، جامع شعبان خوجة، جاكع كتشاوة، وقد كانت مساجد المذهب الحنفي تقدر بـ: 14 مسجدا بالجزائر

1 بوسعيد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص43، 44.

2 نفسه.

3 بوسعيد عبد الرحمان ، المرجع السابق ، ص34 .

4 ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، 337.

العاصمة. وكانت مؤسسة سبل الخيرات تتولى الانفاق على الزوايا والمدارس والفقراءوالموظفين حيث قدر عدد أوقافها 331 حبسا منها 119 ملكية عقارية، و 212 عناء[1].

ـ مؤسسة اوقاف الاشراف والاولياء:

تحتوي على عدد من المراكز الفقهية ، و تضم جماعة الاشراف بمدينة الجزائر نحو 300اسرة ، و كان للإشراف نقابة خاصة يشرف عنها (نقيب الاشراف)، يتمتع بمكانة مرموقة لدى رجال الدولة و المجتمع، وكان لأوقاف الأشراف وكيل خاص أيضا، وليس هو النقيب المذكور، لان النقابة منصب معنوي، أما الوكالة فقد كانت منصبا إداريا، و كان عملها اساسي حيث تقوم بتوزيع الاعانات بين اكثر من 200 فقير كل يوم خميس[2].

أما أوقاف الاولياء فتتوزع هذه المؤسسة على 18 واليا داخل مدينة الجزائر، وفي مقدمتها مقام سيدي عبد الرحمان الثعالبي الذي قدرت أوقافه بـ: 82 وقفا في أوائل الاحتلال الفرنسي بـ: 6000 فرنكا، وقد شملت هذه الاوقاف أغلب مناطق الوطن[3].

ـ مؤسسة اوقاف الجامع الاعظم [4]:

يعتبر الجامع الاعظم بمدينة الجزائر احد المؤسسات، التي لعبت دورا بارزا في الحياة الثقافية و الدينية ، حيث كانت تتصرف و تعني بالمساجد المالكية ، فنجد ان مدينة الجزائر تتوفر على حوالي 100 مسجدا، وعرفت اوقاف الجامع الكبير بالكثرة و التنوع ، و قد لعب هذا الجامع دورا رائدا في الحياة الثقافية و الدينية [5].

---

1 بوسعيد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص34.

2 مؤيد محمود ، المرجع السابق ، ص 432،433. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 241.

3 سمير أبيش، "دور مؤسسات الأوقاف في دعم الحركة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني"، **المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية**، المجلد 5، العدد2، ديسمبر 2020م، ص34.

4 يعد الجامع الاعظم بمدينة الجزائر من أقدم جوامع المدينة، إذ يعود تاريخه إلى القرن 11م، وتدل الكتابة الموجودة على منبره أنه كان موجودا في رجب 409هـ / 1018م. أنظر: عائشة غطاس، المرجع السابق، ص279.

5 بوسعيد عبد الرحمان ،المرجع السابق ، ص 37،38

وتعتبر اوقاف الجامع الكبير وبعض الزوايا بالعاصمة، واوقاف الجامع الكبير في قسنطينة وتلمسان والمدية من المؤسسات الغنية في المجتمع الجزائري، وهي لذلك كانت وسائل للنفوذ والإثراء لمن يتولى وكالتها من العلماء ونحوهم[1].

وقد لعب هذا الجامع دورا رائدا في الحياة الثقافية والدينية، إذ احتضن المجلس العلمي وغطى انشطة الجوامع الأخرى، وكانت رعاية شؤونه تتم من طرف ثلاثة وكلاء يشرف عليهم المفتي المالكي مباشرة، وكان هؤلاء الوكلاء يتقاسمون الاشراف على أوقاف الجامع ، بحيث يتولى أحدهم أوقاف المؤذنين، بينما يهتم الآخر بأوقاف الحزابين، أما الثالث فتعود إليه المراقبة العامة، ولهذا كان يعرف بالوكيل الرئيسي[2].

ـ مؤسسة أوقاف بيت المال:

شكلت هذه المؤسسة أحد التقاليد العريقة للإدارة الاسلامية للجزائر والتي تدعمت في العهد العثماني، حيث كانت تشرف على الاحباس وتتولى اعانة ابناء السبيل واليتامى والفقراء، وتتصرف في الغنائم التي تعود للدولة كما تهتم بشؤون الخراج وتحرص على شراء العتاد. وكانت ايضا تهتم بإقامة المرافق العامة من طرق وجسور وتشييد أماكن للعبادة من مساجد وزوايا، وتتولى تصفية التركات[3].

ويشرف على هذه المؤسسة أمين يسمى " بيت المالجي"، وأمانة بيت المال وظيفة رسمية إذ قيست بوظيفة الوكلاء السابقين، لذلك كان الباشا يعين أحد القضاة ليساعد أمين بيت المال في إدارة المؤسسة، هذه المؤسسة كانت من جهة سياسية ومن جهة أخرى خيرية، وتقوم بأعمال خيرية وانسانية كدفن فقراء المسلمين وتوزيع الصدقات على حوالي

1 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 243.

2 بوسعيد عبد الرحمان ،المرجع السابق، ص38.

3 بوسعيد عبد الرحمان ،المرجع السابق ، ص39، 40.

100 فقير كل يوم خميس، وتقدم الهدايا في كل عيد إلى الباشا وحاشيته وخدمه، وتدفع شهريا مبالغ مالية معينة الى خزانة الدولة[1]

وقد أصبح بيت المالجي يتمتع بصلاحيات متزايدة واستقلال حقيقي في ادارة شؤون بيت المال، اذ هو ليس مجبرا على تقديم حسابات من عمله لموظفي البايليك، وانما هو مطالب فقط بتقديم مساهمة شهرية تعادل 100 بوجو =700 فرنك. كما اوكلت لبيت المالجي مهمة التصرف في بعض الاحباس الاهلية ، التي توفي عنها أصحابها، واستوجب ارجاعها الى المؤسسات الدينية الموقوفة عليها، وذلك حتى تتم الاجراءات المتعلقة بتنفيذ مضمون أحكام الوقف والعمل بوصية صاحب الوقف[2].

وهكذا يظهر لنا دور مؤسسات الاوقاف في جميع المجالات الدينية و الثقافية و حتى الاجتماعية.

1 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 242، 243.

2 بوسعيد عبد الرحمان ،المرجع السابق ، ص40.

المحاضرة: 12 ـ التعليم ومؤسساته

ـ التعليم :

عمر الاتراك بالجزائر اكثر من ثلاثة قرون اقاموا خلالها الكثير من التنظيمات خاصة السياسية و المالية و العسكرية ، غير انهم لم يلتفتوا الى التعليم اي انه لم يكن لهم اي دخل او اشراف عليه، فلم تكن توجد مؤسسة حكومية خاصة بالتعليم [1].

فلم تكن هموم السلطة منصرفة الى تطوير المجتمع اقتصاديا ولا ثقافيا ولا الى تربية الشعب سياسيا ، وانه لم يكن للسلطة العثمانية في الجزائر سياسة للتعليم، او ان سياسة هذه السلطة هي عدم التدخل في شؤون التعليم ، اذن التعليم كان يقوم على جهود الافراد و المؤسسات الخيرية ، ويدخل في هذا العموم استثناءات لرجال الدولة [2]. وفي هذا الصدد نذكر مبادرة صالح رايس بتجميل حي سيدي الكتاني بقسنطينة، الذي انشا به مسجدا و مدرسة سنة 1775م [3].

و ما تجدر الاشارة اليه هو ان المؤسسات الثقافية التي وجدت في العهد العثماني، ماهي الا استمرار المؤسسات الثقافية التي وجدت من قبل، غير انه الى جانب المساجد و المدارس ظهرت الزوايا و الرباطات بشكل كبير، والتي تركت بصمات واضحة على الحياة الثقافية في الجزائر و تمثلت هذه المؤسسات في :[4]

ـ الكتاتيب : كانت بمثابة مراكز للتعليم التحضيري او الابتدائي، و كان يطلق عليها في الارياف اسم الشريعة ، اما في المدن فيطلق عليها المسيد (وهي كلمة بربرية تعني

---

1 صبيحة بخوش ، "وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني" ، **حوليات التاريخ و الجغرافيا**،الجزائر، عدد 2، جوان 2008 ، ص 135

2 ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص 314.

3 للمزيد حول اعمال صالح باي انظر ، ناصر الدين سعيدوني ، ورقات ، المرجع السابق، ص 245،249.

4 صبيحة بخوش، المرجع السابق، ص 137.

المسجد)، اما عن الغرض من وجودها، فقد اسست لتجنب المساجد ضوضاء الاطفال للحفاظ على نقاوتها.

ـ **المساجد:** تعتبر من اقدم المؤسسات الثقافية ، فمنذ ظهور الاسلام تولت الوظيفتين الدينية و التعليمية معا ، و غالبا ما تنسب المساجد لمؤسسيها من السياسيين و التجار و العسكريين ، او الى الاحياء الواقعة بها كجامع باب الجزيرة و جامع سوق الغزل بقسنطينة، او الى صنعة او حرفة اهل الحي كجامع الخياطين و جامع حي الرمان بتلمسان ، و يتضح من خلال الدراسات ان عدد المساجد في الجزائر لم يكن قليلا ، و قد اشترك في تأسيسها الاهالي و العثمانيون على السواء، وكان هؤلاء يهتمون ببناء المساجد بدوافع دينية محظة في اغلب الاحيان ، كما جعلوها لخدمة المذهب الحنفي، بل ان وظيفة المدرس عندهم كانت لا تخرج عن ذلك ايضا ، و ان المدرس مختص في التفسير او الحديث (العلوم الشرعية) [1].

ـ **المدارس:**

يوجد هناك اختلاف بين المؤرخين الذين يتحدثوا عن الحياة الثقافية في العهد العثماني في تحديد عدد المدارس الموجودة آنذاك و خاصة الابتدائية منها، اذ لا يوجد فرق او خط فاصل يميز المدرسة عن الكتاب و عن الزوايا، التي يتعلم فيها الاطفال، و المسجد الذي تقدم فيه دروس للأطفال في احد حجراته [2].

ومهما يكن فقد كثرت في الجزائر المدارس الابتدائية حتى كان لا يخلوا منها حي من الاحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف ، حتى انها كانت منتشرة بين اهل البادية و الجبال النائية، هذا ما جعل الكتابات في العهد العثماني تشيد بكثرة المدارس و انتشار التعليم و ندرة الامية [3].

---

1 ابو القاسم سعد الله ،المرجع السابق ،ص 245،262

2 نفسه .

3 ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 274.

ومن اهم المدن التي انتشرت بها المراكز الثقافية نجد تلمسان، العاصمة ، وقسنطينة، و مازونة ، فتلمسان كان بها 50 مدرسة ابتدائية و مدرستين للتعليم العالي، و هما الجامع الكبير و مدرسة اولاد الامام ، اما العاصمة فكان بها 229 مدرسة اهمها المدرسة القشاشية، التي اعتبرت مركز التعليم العالي، اما قسنطينة فكان بها 100 مدرسة و 7 مدارس ثانوية ، اما الغرب الجزائري فقد اشتهر بالمدرسة المحمدية ، كما تعتبر مدرسة مازونة من اقدم المدارس في العهد العثماني و كان لإجازتها اعتبارا في وظائف القضاء بالخصوص [1].

أما فيما يتعلق بالتعليم العالي فان الجزائر لم تعرف مؤسسات من هذا المستوى مثل ما كان عليه الحال بالنسبة لتونس و المغرب ومصر ، غير ان دروس جوامعها الكبيرة، كانت تضاهي دروس الزيتونة و القرويين ، وهذا لتنوع الدراسات فيها، و تردد الاساتذة عليها من مختلف انحاء العالم الاسلامي، مثل دروس سعيد قدورة، وعلى الانصاري و احمد بن عمارة بالعاصمة ، و دروس عمر الوزان ، وعبد الكريم الفكون و احمد العباسي وعبد القادر الراشدي في قسنطينة ، و احمد البوني في عنابة، وكانت مضرب الامثال في العمق و الاحاطة والرقي، بل قد احيانا تفوق دروس الجامع الاموي بدمشق و الحرمين الشريفين [2].

و كانت معظم المؤسسات الثقافية التي تم ذكرها، المدارس، المساجد، الزوايا، الرباطات، مصدر تمويلها الوحيد هو الوقف ، وهذا ما يجعلنا نؤكد على ان السياسة العثمانية في الجزائر لم تكن تهتم بالحياة الثقافية.

ـ الزوايا و الرباطات :

من ابرز مميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرف الصوفية و كثرة المباني (الزوايا و نحوها)، خاصة في الريف، و يعود ذلك لافتقار الارياف للمراكز التعليمية

1 صبحة بخوش ،المرجع السابق ، ص 141.

2 ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 273، 274.

الاخرى ، و مع مرور الزمن احتلت الزوايا الصدارة بين المؤسسات الثقافية، الامر الذي سمح لها بالجمع بين الوظيفتين الدينية و التعليمية، فعادة ما كانت تمثل المسجد و المدرسة في ان واحد ، حيث تكون مركز للعبادة، و كذا مركز تدريس علوم الدين و الفقه و تعليم مبادئ القراءة و الكتابة، اضافة الى كونها ملجأ لعابري السبيل [1].

و يقول في هذا الصدد يحي بوعزيز، ان الزوايا عملت على تحفيظ القران الكريم و نشر التعليم و الاسلام في المناطق النائية، و كانت و لازالت خزانا للكتب و المخطوطات، كما ساهمت في ازالة الفوارق الاجتماعية [2].

و كانت الرباطات تشبه الزوايا من بعض الوجوه ، فهي مثلها في خدمة الدين و المجتمع، ولكن الرباطات كانت تمتاز بانها قريبة من مواقع الاعداء، و ان تأسيسها يهدف بالدرجة الاولى الى خدمة الجهاد، فهي زوايا و مدارس متنقلة من جهة اخرى[3].

و ميزتها(الرباطات) انها لم تكن خاضعة لأي طريقة صوفية، بل كانت منفتحة على كل التعاليم الصوفية ، و جل مؤسسيها من رجال الدين [4].

ـ التعليم في الزوايا:

باعتبار الزاوية المؤسسة التعليمية الوحيدة التي تقوم بتدريس الطلبة من المرحلة الابتدائية غالبا حتى المرحلة العالية فقد كان يتم تقسيمهم إلى مجموعات وكل مجموعة بها ثلاث فئات: المجموعة الأولى: تضم فئة المبتدئين (من ختم سورة البقرة، وفئة المتوسطين من ختم البقرة وشرع في الإعادة، وفئة المنتهين من ختم القرآن كله، وبقى له

1 صبيحة بخوش ،المرجع السابق ،ص 139

2 صبيحة بخوش ،المرجع السابق ،ص 139 .

3 ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 272،273

4 صبحة بخوش ، المرجع السابق ، ص 140

الرواية والتجويد، أما المجموعة الثانية: فتضم كل من فئة الأجرومية ومتن ابن عاشر، وفئة القطر والرسالة وفئة الألفية[1].

أما منهاج الدراسة في الزوايا خلال العهد العثماني فلا يختلف عن بقية المؤسسات التعليمية الأخرى، فكلها كانت تدرس القرآن الكريم، الحديث، النحو، اللغة، الفقه، التوحيد، الفلك، الحساب... حيث يتعلم الطفل في المرحلة الأولى، حفظ القرآن، وتعلم الحروف الهجائية، عن طريق الكتابة في الألواح المصلصلة والقلم القصبي، اعتمادا على المداد المستخرج من صوف الضأن بعد حرقه، وبعدما يتلقى الطالب تعليمة الابتدائي يمكنه أن يبقى لإكمال تعليمه العالي ما بين 18إلى 11سنوات، حسب رغبة الطالب في البقاء لنيل المزيد من المعارف التي تقدم بالزوايا التي بها معاهد عليا، أو يتوجه للمساجد الكبرى، حيثكان يقدر عدد الطلبة في التعليم الثانوي والعالي ما بين 600إلى 800طالب من كل بايلك[2].

كانت ميزة الدروس في مرحلة التعليم الثانوي والعالي، هي الشرح والإملاء، فكل مدرس له "مسمع" يقرأ له نصا أو جزءا من الكتاب المدروس، ثم يقوم المدرس بشرح المسألة وتوضيحها في جلسة واحدة أو عدة جلسات، يختم ذلك بإملاء ملخصات على الطلبة الذين يقومون بتسجيلها، خاصة إذا كان واسع العلم، وبهذا يكونوا قد أسهموا في حركة التأليف المنتشرة آنذاك[3].

فأثناء الدرس كان الطلبة يجتمعون في حلقة حول شيخهم، الذي يقوم بالشرح والإملاء وطرح بعض الأسئلة على الطلبة، كما يتلقى هو بعض الأسئلة من الطلبة بعد انتهاء الدرس. فالتعليم في هذه المرحلة يقوم على الحفظ واستظهار المتون نظما وشعرا،

---

1 رشيد شدري معمر،" الزوايا ودورها الديني والثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة المعيار**، مجلد 24، العدد 49، السنة 2020، ص279.

2 نفسه ، ص279.

3 أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 345.

إضافة إلى تدريب الطلاب على الفهم، والبحث والمناقشة، وهي طريقة تعليمية أرساها "أبو عبد الله الشريف التلمساني" في القرن 68م، ليتوارثها العلماء بعده جيلا بعد جيل، لهذا نجد الجزائريين يعيبون على طلبة فاس اعتمادهم على الحفظ والنقل وعزوفهم عن إعمال العقل وتدريبه[1].

وهذا التعليم العالي يسمح للطلبة المتخرجين من هذه المؤسسات بفتح مدارس وتعليم الأطفال الصغار، أو تدريس القرآن بالمساجد أو العمل كخوجات أو مؤدب، وهذا بعد حصولهم على إجازة من الأستاذ تثبت إكمالهم لدراستهم وهذا القدر من العلم والمعرفة التي يحصل عليها الطلبة تمكن بعضهم من مواصلة مهمة نشر الدين والعلم في قراهم، ومناطق سكناهم، مثل زاوية سيدي علي بن يحي التي تخرج منها العديد من الطلبة والعلماء الذين قاموا بدورهم بنشر التعليم استكمالاً لرسالة الزاوية[2]

1 رشيد شدري معمر، المرجع السابق، ص 279.

2 نفسه، ص280.

المحاضرة: 13 ـ التنظيم الاجتماعي للجزائر خلال العهد العثماني

يتصف الوضع الاجتماعي للجزائر أثناء العهد العثماني، بتمايز السكان حسب نمط معيشتهم، وأسلوب حياتهم، واختلاف مصادر رزقهم، وطبيعة علاقاتهم بالحكام وهذا ساعد على تصنيف عدة طوائف وجماعات ، وتناولهم من حيث كونهم سكان مدن وأرياف [1].

ويذهب بعض المؤرخين إلى القول أن عدد السكان في الجزائر كان حوالي 3 ملايين نسمة، موزعين على المدن والأرياف، لكن أغلبيتهم كانت تعيش في الأرياف، ويؤكد المؤرخون ان حوالي 90% منهم كانوا ريفيين[2].

ويقول حمدان خوجة ان عدد سكان الجزائر عشرة ملايين نسمة، واغلبهم يعيش خارج المدن في الأرياف[3].

1 ـ سكان المدن:

أهم المدن الجزائرية في أواخر العهد العثماني هي الجزائر، قسنطينة، وهران، تلمسان، عنابة، معسكر، مازونة، المدية، البليدة، بسكرة، مليانة، مستغانم، بجاية، المسيلة، تبسة، عين ماضي، تقرت، ورقلة ...الخ، تقطن هذه المدن طوائف تختلف من مدينة إلى أخرى، لكن بعض الطوائف نجدها في اغلب المدن ، فطائفة الحضر نجدها في كل المدن، وكذلك البرانية، كما يسمون في مدينة الجزائر، ونجد الاتراك في المدن الكبرى، خاصة في مدينة الجزائر، كما نجد الكراغلة في أغلب المدن وخارجها، ونجد اليهود موزعين في أغلب المدن ، في الجزائر، تلمسان، وهران ، معسكر، مستغانم، قسنطينة، وفي واحات وادي ميزاب، وفي قرى بلاد القبائل، في المدية وبجاية[4].

---

1 ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص87

2 صالح عباد، المرجع السابق، ص354.

3 حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم تعريب تحقيق: محمد العربي الزبيري، سلسلة التراث، ص13.

4 صالح عباد، المرجع السابق، ص355.

كانت فئات المجتمع في المدن متباينة حسب الأصول العرقية والمكانة الاجتماعية.

ومن اهم هذه المجموعات :

أ ـ الطبقة التركية: التي لم يتجاوز عددها حسب المعلومات المتوفرة عشرون ألف نسمة، والتي كانت منعزلة عن بقية السكان. وتشكل أغلبهم من الجنود الأتراك (الانكشارية)[1].

وقد قسم هايدو الاتراك في الجزائر إلى صنفين هما[2]:

ـ الصنف الأول: الاتراك الأصليين الذين يأتون إلى الجزائر يوميا من الامبراطورية العثمانية، بحثا عن الثروة ، خاصة في ميدان القرصنة، إنهم ياتون من الأناضول او تركيا الآسيوية، ومن رومانيا او تركيا الأوربية، أتراك أوربا لا ينتمون إلى الأنكشارية.

ـ الصنف الثاني: هو أتراك العقيدة وهم المسيحيون المرتدون عن دينهم، الذين اعتنقوا الاسلام، ويعرفون باسم الأعلاج، وهم أكثر عددا من الاتراك الاصليين

وترجع قلة العنصر التركي رغم المدة الطويلة التي قضاها الأتراك بالجزائر إلى حالة العزوبية، التي كان يعيشها أغلب أفراد الجيش التركي، أما العزلة التي ظلت تعيشها الأقلية التركية فترجع إلى رغبة الحكام الأتراك في المحافظة على امتيازاتهم، وميل غالبية العناصر التركية إلى التمسك بعاداتها ولغتها وأسلوب عيشها. واعتبار او اعتقاد الكثير منهم بكونهم جماعة ممتازة، تتفوق على باقي العناصر الأخرى[3].

ب ــ فئة الكراغلة: تمثل طبقة أبناء الاتراك نتيجة تزاوجهم مع نساء الجزائر، وهم في نظر الأتراك نتاج اجتماعي أدنى منهم مرتبة، فأطلقوا عليهم (أبناء العبيد) أو (الكراغلة)[4].

---

1 ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق ،ص92، 93.

2 صالح عباد، المرجع السابق، ص356..

3 ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق ، ص 93.

4 حنفي هلايلي ، المرجع السابق، ص166م.

وقد تكاثر وتزايد عدد الكراغلة بحوالي 20000 نسمة في كل البلاد، وقد تخوف الأتراك من تكاثر الكراغلة ، وتزايد هذا التخوف من الكراغلة، عندما بدأو يكتسبون أهمية خاصة، وتطلع بعضهم إلى نيل الامتيازات والمشاركة في الحكم[1].

وبالفعل فقد توتر العلاقة بين الكراغلة وآبائهم الأتراك، وحدثت تمردات عديدة فكانت سنة 1596م أول محاولة للثورة، وأخطر ثورة كانت سنة 1633م، وعلى الرغم من تحركات التمرد التي تزعمها الكراغلة على سلطة آبائهم الأتراك . إلا أنهم احتفظوا ببعض الامتيازات، مثل حق الانخراط في الانكشارية وأهليتهم لتولي بعض المسؤوليات الهامة نسبيا. كما حدث مع أحمد باي قسنطينة، ومحمد الذباح باي التيطري ومصطفى باي الغرب[2].

ج ــ طائفة الحضر: تتشكل طبقة الحضر (البلدية) من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن، والتي تعود أصولها إلى الفترة الإسلامية، وما انضم إليها من أندلسيين واشراف، وقد تميز الحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الاجتماعي المميز، مما جعلهم يؤلفون طبقة اجتماعية ميسورة، ويشتغل أفرادها في المهن الصناعية (الأعمال التجارية)، ويتولون وظائف السلك القضائي والتعليمي، وقد ظهر في هذه الطبقة الصناع المهرة والتجار النشيطون والبحارة المغامرين، والفقهاء والعلماء[3].

ومما يلاحظ أن طبقة الحضر بما فيها الاندلسيين والاشراف، رغم كثرة عددها في أوائل العهد العثماني ، وتمكنها من التحكم في الاقتصاد واكتساب الثروات، إلا انها لم تلعب الدور الاجتماعي، الذي لعبته البرجوازية الصغيرة في المدن الأوروبية آنذاك، ولتخوف الأتراك والكراغلة منها[4].

---

1 ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ،ص95.

2 صالح عباد، المرجع السابق، ص358.

3 ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق ، ص97.

4 نفسه، ص99.

د ــ جماعة البرانية : تتألف من المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة وتلمسان وغيرها للإقامة والعمل، وقد فرض عليها الوضع الاجتماعي ونوعية النشاط الاقتصادي في المدن، أن تنتظم حسب أصولها الجهوية ومواطنها الأولى[1].

وتتشكل طائفة البرانية من اناس غادروا الأرياف بحثا عن العمل في المدن، وهم معروفون في مدينة الجزائر باسم القبيلة او الجهة التي جاءوا منها ، فمنهم البسكريون، القبائليون، المزابيون، الاغواطيون وغيرهم[2]

ولضبط أفراد هذه المجموعات الأجنبية عن المدينة، كان على رأس كل واحدة منها أمين، يتمتع بسلطة أدبية وقانونية تجعله مسؤولا أمام السلطة المحلية، من كل تصرفات طائفته، ويلعب دور الوسيط بينهم وبين الإدارة سواء لجمع الضرائب أو تقديم المساعدة لأفراد الطائفة[3]. والبرانية مجموعات نذكر منهم:

ــ المزابيون: ينسب إليها سكان قرى وادي ميزاب ومناطق الشعابنة و ورقلة والقرارة ويحتكر أفرادها في المدن الكبرى ولاسيما الجزائر وقسنطينة العمل في مطاحن الحبوب والحمامات، وشكلوا أغلبية الجزارين ، كما سمح لهم بالمحافظة على أمين في مدينة الجزائر[4].

ـ الأغواطيون والبسكريون: فالأغواطيون احتكروا أعمال التنظيف في الشوارع وتصفية الزيوت، بينما البسكريون فكان إشتغالهم بالمهن الوضيعة والشاقة كالسياقة وتنظيف

1 ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص99.

2 صالح عباد، المرجع السابق، ص359.

3 حنفي هلايلي، المرجع السابق،ص169.

4 وليم سبنسر، المرجع السابق، ص100 . ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق ،ص99.

المراحيض ، وقد وفدت هذه الجماعة من مناطق الزيبان ووادي رديغ وسوف توقرت وطولقا[1].

ـ **الجيجليون:** إعتاد أهالي مدينة جيجل ونواحيها الهجرة إلى مدينة الجزائر، وذلك للعلاقة التي تربطهم بالأتراك منذ استقرار الاخوين بربروس، وقد اختصوا بالعمل في المخابز والمطابخ [2].

ـ **القبائل:** وفدوا من المناطق الجبلية القريبة من المدن، فكانوا يسيطرون على أشغال البناء، وقد اكتسبوا هذه المهارة من مناطقهم الجبلية، التي كان سكانها يعتمدون على بيوت الحجارة بنسبة عالية، ومن الصناعات التي كانت حكرا عليهم أيضا صناعة الفحم وبيعه[3].

هـ ـ **الدخلاء:** هم الأجانب عن البلاد وليس عن المدينة فقط أو هم الأجانب عن الإسلام، هي التسمية الأصح، نجد في خانة الدخلاء العبيد السود والعبيد المسيحين والمسيحيين الأحرار واليهود[4].

فالعبيد السود هم الذين كان ينقلهم التجار من افريقيا ، وكانوا موضوع تجارة مربحة، خاصة بعد تحول طرق الذهب الافريقي نحو المشرق، وقد أنشأ منهم الاتراك بعد تحريرهم جماعات عسكرية باسم المخزن أو الزمالة. وكان مصدر العبيد المسيحيين القرصنة والحملات الأوربية على الجزائر أو الحروب البرية التركية الاسبانية. أما بالنسبة للعبيد المسيحيين الأحرار فكان عددهم قليل في مدينة الجزائر، أغلبهم كانوا من التجار الذين يقيمون في المدينة إلى ان ينهوا أشغالهم، فيعودون إلى بلدانهم ، والقناصل وأعوانهم[5].

---

1 حنفي هلايلي، المرجع السابق،ص170.

2 ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق ، ص 99، 100.

3 صالح عباد، المرجع السابق، ص 359. وحنفي هلايلي، المرجع السابق، ص 171.

4 ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق ، ص 105، 107.

5 صالح عباد، المرجع السابق، ص360، 361.

2 ـ سكان الأرياف:

كانت العلاقة مع الحاكم والامتيازات والقوة، هي العامل الأساس لتباين سكان الأرياف، الذين تمثلون أغلبية سكان الجزائر بنسبة 90 بالمئة، الى قبائل و مجموعات هي:

أ ـ قبائل المخزن: تمثل مجموعات سكانية لها صبغة فلاحية و عسكرية و إدارية، لما تقوم به من اعمال و تؤديه من أدوار ، و هي لا تعود في أصولها الى نسب واحد، بل هي في واقع الامر تجمعات سكانية تعميرية ذات تكوين اصطناعي، نظرا لارتباطها بالسلطة، فهي تشكل حلقة وصل بين الأهالي في الأرياف و الحكام في المدن، و من مهامها تتمثل في : جمع الضرائب، معاقبة القبائل المعادية، حراسة الحصون و الابراج والممرات و المسالك الرئيسية بين البايليكات[1]، و مقابل هذه الخدمات تتمتع قبائل المخزن بحماية السلطة والإعفاء من دفع بعض الضرائب وامتلاك الأراضي الفلاحية والحصول على المرتبات والتجهيزات العسكرية والمؤونة[2].

وأخذ نفوذ قبائل المخزن يزداد في أواخر العهد العثماني ، مع تراجع قوة السلطة المركزية ، فتجاوزت صلاحياتها، وتملكت مساحات شاسعة من أراضي البايليك[3].

ب ـ قبائل الرعية: هي قبائل التي لم تحظ بأي امتيازات من السلطة التركية، و هي التي كانت تدفع الضريبة و الرسوم المختلفة، كما كانت تفرض عليها اعمال السخرة، كانت وضعيتها أسوأ من وضعية تلك القبائل، التي لم تكن تخضع للسلطة المركزية، لأنها كانت تقطن مناطق وعرة يصعب على القوات التركية ان تتواجد فيها بصفة دائمة [4].

---

1 صالح عباد، المرجع السابق، ص 359، و حفي هلايلي، المرجع السابق، ص 171.

2 أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519ـ ،1832م** ، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص241..

3 صالح عباد، المرجع السابق، ص 359

4 صالح عباد، المرجع السابق ، ص 367.

ج ــ القبائـل المتحالفـة: (الأحـلاف) أو (الأجـواء): وهـم الـذين فرضـوا نفـوذهم أو حتـى سلطتهم بـالقوة فـي منطقـة مـن المنـاطق، فلـم يكـن أمـام الأتـراك إلا الاعتـراف بنفـوذ هـذه القبائل، وكان تعامل البايليك مع هذه القبائل عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين، وكـان هـؤلاء القـادة اسـياد فـي منـاطق نفـوذهم يجبـون الضـرائب ويفرضـون أعمـال السـخرة، ويجمعون الغنائم دون تدخل مباشر من السلطة المركزية، وقد تمكنت هذه القبائل في إدارة مناطقها وتعيين حكامها ، كما فرضت أخذ الهدايا والامتيازات مقابل الاعتراف بالسلطة، ودفع الالتزامات الضريبية [1].

د ـ القبائل المستقلة: تتألف أغلبها من القبائل التي كانت تعيش في المناطق الجبلية، او التي كانت تجوب الهضاب و الصحاري، وقد حاولت السلطة الحاكمة ان تجبرهم على المهادنة، فنصبت حاميات قرب أماكن عيشهم، والسيطرة والتحكم في الأسواق القريبة من مواطنهم، وأحيانا استعمال القوة لتدمير مقراتهم وتشتيت القبائل المستقلة وانتزاع أراضيها[2].

1 صالح عباد، المرجع السابق، ص362، 363. و أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص246.

2 ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 109، 110.

قائمة المراجع والمصادر المعتمدة :

أولا: الكتب:

ـ ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، **تقييدات بن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جمع : فارس كعوان، بيت الحكمة ، الجزائر، ط1، 2009م.

ـ ابو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ،10ج**، ج1 ، 1500-1830، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،ط1 ، 1998

ـ أحمد توفيق المدني ، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا (1492-1792م)** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984.

ـ أحمد توفيق المدني، **مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974م.

ـ أحمد سالم ، **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في المغرب للبحر المتوسط في القرن 16م** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر ، 2011،

ـ أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519ـ ،1832م** ، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.

ـ ألتر عزيز سامح، **الاتراك العثمانيون في شمال افريقيا**، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1989.

ـ أمين محرز، **الجزائر في عهد الاغوات 1659-1671م**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

ـ بوسعيد عبد الرحمان ، **الاوقاف و التنمية الاجتماعية و الاقتصادية في الجزائر**، رسالة الماجستير جامعة وهران ،2012،2011

ـ جمال قنان، **نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث، 1500-1830** ، وزارة المجاهد

ـ حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تقديم تعريب تحقيق: محمد العربي الزبيري، سلسلة التراث.

ــ حنفي هلايلي ، **أوراق في تاريخ الجزائر في لعهد العثماني**، دار المهدي، الجزائر،2009

ـ شارل اندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالى البشير بن سلامة، دار التونسية للنشر، تونس، ط4، 1983، ج1

ـ شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا تونس الجزائر المغرب)**، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ط1، 1977

ـ صالح عباد ، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، دار هومة ،الجزائر ،2012.

ـ عائشة غطاس وآخرون ، **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها** ، مشروع المركز الوطني للحركة الوطنية 2007،

ـ عبد الحميد بن أشنهو، **دخول الاتراك العثمانيون إلى الجزائر**

ـ عبد الرحمان الجيلاني ، **تاريخ الجزائر العام** ، الجزائر ، ط7 ، 1994 ، ج3

ـ علي محمد محمد الصلابي ، **كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى**، دار المعرفة ، بيروت، لبنان.

ـ عمار بوحوش ، **التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية إلى غاية 1962** ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 بيروت ، 1997

ـ عمار عمورة، **موجز في تاريخ الجزائر** ،دار ريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2002،ط1

ـ كورين شوفالييه، **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541م**،

ترجمة جمال الدين حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية.

ـ مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر القديم والحديث،3ج**، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر، ج3

ـ مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م.

ـ محمد خير الدين فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي** ، جامعة دمشق، ط1، 1969م.

ـ ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي ، **الجزائر في التاريخ ، العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.

ـ ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر العثماني**، دار الصائر ، الجزائر، ط2، 2009.

ـ وليم سبنسر ، **الجزائر في عهد رياس البحر** ، تعريب وتقديم ، عبد القادر زبادية ، دار القصبة لنشر، الجزائر ، 2006،

المجلات:

ـ أسماء ابلالي، " التحرشات الاسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ / 16م قراءة في الدوافع والأسباب"، **مجلة روافد للبحوث والدراسات**، جامعة غرداية، العدد 2، سنة 2017م

ـ رشيد شدري معمر،" الزوايا ودورها الديني والثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة المعيار**، مجلد 24، العدد 49، السنة 2020

ـ سمير أبيش، "دور مؤسسات الأوقاف في دعم الحركة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني"، **المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية**، المجلد 5، العدد2، ديسمبر 2020م، ص34.

ـ صبيحة بخوش ، وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني ، **حوليات التاريخ و الجغرافيا**، الجزائر، عدد 2جوان 2008.

ـ عبد الجليل التميمي ، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519م" ، **المجلة التاريخية المغربية**، تونس، عدد 6، جويلية 1976

ـ عبد القادر فكاير، "العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية"، **دورية كان التاريخية**، السنة 5، عدد 18، ديسمبر 2016م

ـ مؤيد محمود حمد المشهداني ، "اوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830" ، **مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية** ،جامعة تكرت ،مركز صلاح الدين ،مجلد 5،عدد 16،2013

الرسائل الجامعية:

ـ ربيعة بهلول، **النظام الاداري العثماني في الجزائر ومراحل تطوره 1519 – 1830م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2، 2016/2015م.

ـ عائشة جميل، **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830م** أطروحة دكتوراه جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، 2018،2017

ـ نجيب دكاني، **الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن 10هـ 16م**. رسالة ماجستر، جامعة الجزائر، 2001-2002.

ـ الأجنبية

ـ Grammont ,H .D, **histoire d Alger sous la domination de turque, 1515-1830**, paris, 1881.

ـ Mouloud Gaid, **L'Algérie sous la domination turque**, Tunis, 1975.

ـ .Moulay belhamissi, **Histoire la marine Algerienne 1516 – 1830**, Alger, 1er Ed, 1983

فهرس المحتوى	الصفحة
التعريف بالمادة	2
مقدمة	3 – 4
المحاضرة 1 – أوضاع المغرب الإسلامي خلال القرن 16 م	5 –12
خريطة المغرب الاسلامي في مطلع القرن 16م	12
المحاضرة 2 ـ الأسباب والدوافع للغزو الاسباني للسواحل المغاربية:	13 – 19
المحاضرة 3 ـ الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية (المغرب الأوسط):	20 – 26
المحاضرة 4 ـ التحاق الجزائر بالدولة العثمانية:	27 – 35
وثيقة: اول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م	34 – 35
المحاضرة 5 ـ مرحلتي البايلربايات والباشوات	36 – 43
المحاضرة:6 ـ مرحلتي الأغوات والدايات	44 – 49
المحاضرة:7 ـ العلاقات الجزائرية مع تونس، المغرب، والاسبان	50 – 55
المحاضرة:8 ـ العلاقات الجزائرية مع الانجليز، فرنسا	56 – 61
المحاضرة: 9 ـ الأوضاع الإدارية	62 – 70
خريطة : التنظيم الإداري في الجزائر خلال العهد العثماني	70
المحاضرة: 10 ـ الواقع الاقتصادي	71 – 76
المحاضرة: 11 ـ الاوقاف	77 – 83
المحاضرة: 12 ـ التعليم ومؤسساته	84 – 89
المحاضرة: 13 ـ التنظيم الاجتماعي للجزائر خلال العهد العثماني	90 – 96
قائمة المصادر والمراجع	97 – 100
فهرس المحتوى	101